

يجدونہ مکنونًا عندهم

يَمْضَاؤُهُوَ فِتْوَابِ أَهْلِهِمْ

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب



فيصل بن علي الكامل

يُجدونه مكتوباً عندهم

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في
أسفار أهل الكتاب

فيصل بن علي الكامل

يجدونه مكتوباً عندهم

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كاملي، فيصل علي

مجلدونه مكتوباً عندهم / فيصل علي كاملي - الرياض،

١٤٣٤هـ

١٩٤ ص: ١٤١/٥، ٢١، ٢٢

ردمك: ٠-٢٣-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية ٢- الشاغل المحمدية أ. العنوان

١٤٣٤/٢٠١٢

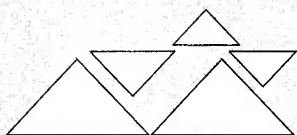
ديوي ٢٣٩، ٦

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٠١٢

ردمك: ٠-٢٣-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨



مُقَلَّمَةٌ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، الرسول النبي الأمي ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الأعراف: ١٥٧]﴾.

أما بعد، فهذه رسالة وجيزة في بعض ما جاء من صفات المصطفى ﷺ في أسفار أهل الكتاب، سطرها لتكون تذكرة للمؤمنين وتبصرة للغافلين وحجة على المعاندين. ولست في ذلك رائداً، فقد سبق إلى بيان ذلك السابقون؛ فعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَحِزْراً لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفَطٍّ وَلَا غَلِيطٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْضِيَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ

الْمَلَّةَ الْعَوْجَاءِ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا
وَقُلُوبًا غُلْفًا. [صحيح البخاري].

لكنني أحسب أنني بذلت وسعي في الرجوع إلى مصادر القوم؛
فبيّنت الغامض، وصححت السقيم، وأبطلت دعاوى الخصوم؛ حتى
يكون في ذلك مزيد حجة. لكنني لم أذكر كل ما وقع تحت يدي من
إشارات في أسفار أهل الكتاب لأسباب منها: قناعتي بأن بعض ما
يُظن أنه من البشارات ليس كذلك، كذكر اسم محمد ﷺ في سفر نشيد
الأنشاد؛ كما أنني حرصت على الإيجاز فلم أذكر من البشارات ما
يتطلب سرداً تاريخياً قد ينوء بالقارئ غير المختص. ولعل فيما أوردته
كفاية لمن كان متجرداً للحق غير متعصب لهواه.

وقد قسّمت الكتاب إلى أربعة فصول. الفصل الأول: وأوردت
فيه بعض إشارات أسفار أهل الكتاب إلى زمن ظهور نبي آخر الزمان.
الفصل الثاني: وأشرت فيه إلى الموطن الذي ذكر فيه اسم نبي آخر
الزمان صراحة في أصله العبراني. الفصل الثالث: وذكرت فيه تمجيد
قبلة النبي الخاتم في كتب القوم وأنها ستكون مثابة للناس. الفصل
الرابع: وأوردت فيه بعض تباشير أسفار أهل الكتاب بظهور أمة النبي
الخاتم على غيرها من الأمم.

ختاماً: لا أنسى من كان له بالغ الأثر في حياتي؛ والدتي التي كانت لي خير معين، فحال بيني وبينها اليقين، ولئن كانت في حياتها واعظة لي مُذكّرةً، فإنها اليوم أوعظ. فإن أفدت - أخي - شيئاً من هذه الورقات فلا تبخلنَّ عليها بدعوة بظهر الغيب، فإنما هذا الجهد وصاحبه حسنة من حسناتها.

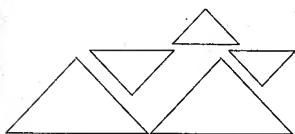
أسأل الله أن يغفر لها ويرحمها، وأن يكرم نزلها، وأن يبلغها منازل الصديقين. كما أسأله أن يجعل ما سطرته زاداً إلى حسن المصير إليه، وعتاداً إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فيصل بن علي الكامي

popedia@windowslive.com

الفصل الأول

نبي آخر الزمان ﷺ



مدخل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

"العلم بنبوة محمد ﷺ ونبوة المسيح عليه السلام لا يتوقف على العلم بأن من قبلهما بَشَّرَ بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة. فإذا عُرِفَتْ نبوته بطريق من الطرق ثَبَّتَتْ نبوته عند من علم ذلك وإن لم يعلم أن من قبله بَشَّرَ به. لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بد من إخبار من قبله بمجيئه وأن الإشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع؛ صار ذلك شرطاً في النبوة، ومن علم نبوته علم أن هذا قد وقع وإن لم ينقل إليه.

فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به يقدر في نبوته، وأنه إذا قدر أنه لم يخبر به من قبله والإخبار شرط في النبوة كان ذلك قدحاً.

قيل: الجواب هنا من طريقتين، أحدهما: أن يقال إذا علمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة فإما أن يكون تبشير من قبله لازماً لنبوته واجباً أو واقعاً، وإما أن لا يكون لازماً. فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً علم أنه قد وقع وإن كان ذلك لم ينقل إلينا، إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا، وليس كل ما أخبر به المسيح

ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار.

ولو قدر أن هذا ليس في الكتب الموجودة لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه بل يمكن أنهم ذكروه وما نُقل، ويمكن أنه كان في كتب غير هذه، ويمكن أنه كان في نسخ غير هذه النسخ فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه، فكل هذا ممكن في العادة لا يمكن الجزم بنفيه. فلو قدر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب لم يقطع بأن الأنبياء لم يشرّوا به.

فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يشر به الأنبياء ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ﷺ لم يشر به الأنبياء، لم يكن معهم علم بعدم ذلك؛ بل غاية ما يكون عند أحدهم ظنٌ لكونه طَلَب ذلك فلم يجده. ودلائل نبوة المسيح ﷺ ومحمد ﷺ قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين، لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء كما في صحيح البخاري ...".^(١)

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ)، ٥ / ١٥٣.

ومع هذا فإن الإشارات إلى اسمه ﷺ وظهور أمته على الأمم
وتحول قبلته، ما زالت موجودة فيما بين أيدي اليهود والنصارى مما
يؤمنون بصحته من كتبهم ومما يخفونه مما سيأتي بيانه، والله المستعان.

رؤيا الأسابيع

الكتابات المنحولة:

قبل الحديث عن رؤيا الأسابيع يجدر بنا التعريف بأسفار الـ«سوديبجرافا» أو «الكتابات المنحولة» التي تضم هذه الرؤيا؛ فهي عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة التي لم تجد مكانها بين الأسفار القانونية عند أهل الكتاب، ويعود تاريخ أقدمها إلى القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد، وقد نسبت إلى غير كُتابها على رأي أكثر العلماء، وهذا سبب وصفها بالمنحولة. من هذه الأسفار «سفر أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم عليه السلام» و«عهد موسى عليه السلام».

لكن نسبة هذه الأسفار إلى غير كاتبها الأصلي لا يعيها في نظر علماء أهل الكتاب، فهذا حال أكثر الأسفار القانونية المعتبرة عندهم. يؤكد هذه الحقيقة المرجعُ المعتبرُ المعروف بـ«قاموس أنكور الكتابي» إذ يقول:

أكثر العلماء لا يهتمون لعجزهم عن تعريف الـ«سوديبجرافا» أو الكتابات المنحولة. فهم يتفقون على أن بعض الكتابات في العهدين القديم والجديد منحولة كذلك، على سبيل المثال:

مزامير داود، وأمثال سليمان، والرسائل المنسوبة خطأً إلى بولس، لا سيما رسالته إلى العبرانيين والكولوسييين والرسائل الرعاوية.^(١)

فنحن عندما نستشهد بهذه الأسفار المنحولة فإننا نستشهد بوثائق وكتابات لا تقل في قيمتها العلمية أو التاريخية عن الأسفار القانونية، بل قد تفوقها أحياناً كما هو حال «سفر أخنوخ» الذي كان مرجعاً لبعض كتاب العهد الجديد كما سيأتي. وإنما بدأت بالبشارات الموجودة في هذه الأسفار لحفائها على كثير من الباحثين، فيكون ذلك مدعاة لانتشارها، ولأنها ترسم لنا خلفية تاريخية واسعة ورائعة قبل الانتقال إلى تفاصيل البشارات الأخرى.^(٢)

سفر أخنوخ و«رؤيا الأسابيع»:

سفر أخنوخ أحد الأسفار المنحولة كما سبق، وينسب إلى أخنوخ، الذي هو إدريس عليه السلام كما يرى بعض العلماء، وهو أحد أجداد نوح عليه السلام. يعد هذا السفر من الأسفار القانونية المعترف بها في الكنيستين

(1) The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992), vol. 5, p. 538.

(٢) سبق إلى الإشارة إلى بشارات الأسفار المنحولة الدكتور هشام طلبة والدكتور نصر الله أبو طالب فوجب الاعتراف لهما بالأسبعية جزأهما الله خيراً.

الأرثوذكسية الإثيوبية والأرثوذكسية الإريترية، ويوجد كاملاً في مخطوطته الجعزية (اللغة الإثيوبية القديمة)، مع قطع بالآرامية من مخطوطات البحر الميت، وبعض القطع باليونانية واللاتينية. لذا فإن الرأي السائد عند الكنيسة الإثيوبية أنه كتب في أصله باللغة الجعزية، بينما يرى غيرهم من العلماء أنه دُوّن بالآرامية أو بالعبرية.

ثمة إشارة إلى سفر أخنوخ في رسالة يهوذا من العهد الجديد، إذ تقول الرسالة: "وَتَنَبَّأَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوحُ، السَّابِعُ مِنْ آدَمَ، قَائِلًا: «هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتٍ قَدِيسِيَّةٍ، لِيَصْنَعَ دَيْنُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فَجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمْ الَّتِي فَجَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةٌ فَجَّارٌ»." (١) وهذا موجود بتمامه في سفر أخنوخ الأول (١: ٩)؛ بل إن الموسوعة الكتابية Encyclopedia Biblica ترى أن كُتِّبَ العهد الجديد كانوا على دراية بسفر أخنوخ وأنهم تأثروا به فكرياً وأسلوباً. (٢)

(١) يهوذا (١: ١٤، ١٥).

(2) Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899), "Apocalyptic Literature", vol. I, column 220.

يتضمن سفرُ أخنوخ رسالة تُعرف بـ «رسالة أخنوخ»، وهذه الأخيرة تتألف من خمسة أقسام، أحدها «رؤيا الأسابيع» The Apocalypse of the Weeks التي هي موضوع بحثنا. وبما أن الحديث عن رؤيا الأسابيع يتطلب بعض التفاصيل التي قد لا تهتم كثيراً من القراء غير المختصين، مع حرصي على تيسير المراد دون القصور عن تقديم الدليل؛ فقد آثرت أن أقتبس كلاماً لأحد الأعلام في هذا الشأن يوجز ما نريد بيانه. هذا العَلم هو «حانان إيشيل» أستاذ مخطوطات البحر الميت الأسبق في جامعة «بار إيلان» بتل أبيب. يقول «إيشيل»:

«رؤيا الأسابيع» هي رؤيا تسجل تاريخ العالم بأسلوب وجيز جداً، إذ تقسمه إلى وحدات زمنية معينة تدعى «أسابيع». وكل أسبوع منها يحوي وصفاً بالإيجاب أو بالسلب. رؤيا الأسابيع محفوظة في رسالة أخنوخ التي هي واحد من المؤلفات التي يشتمل عليها أخنوخ الأول (الفصول ٩٠-١٠٥). في النسخ الإثيوبية لأخنوخ الأول، تقسم رؤيا الأسابيع إلى قسمين: ٩٣: ٣-٩ وتصف سبعة أسابيع من خلق العالم إلى نهاية الأيام؛ و٩١: ١٢-١٥ وتصف الأسابيع الثلاثة الأخيرة

التي يدين فيها الرب العصاة ... وعلى غرار «ر. ه. تشارلز» فإن جمهور العلماء يفضلون نقل الأسابيع الثلاثة الأخيرة إلى نهاية رؤيا الأسابيع. يؤيد هذا ما وُجد في النسخة الآرامية لسفر أخنوخ الأول من لفائف قمران، حيث تأتي الأسابيع الثلاثة عقب رؤيا الأسابيع السبعة. فإجماع العلماء إذن على أن المرء بحاجة إلى أن يميز بين رؤيا الأسابيع السبعة التي تصف أزمنة تاريخية حقيقية، وبين الأسابيع الثلاثة الأخيرة التي تتناول ما وراء التاريخ meta-history.⁽¹⁾

وعليه، فلن أخرق هذا الإجماع بين علماء أهل الكتاب، وسأرتب النص كما أرادوا. ولكن قبل الشروع في ذلك ينبغي أن نحدد التاريخ الذي كتبت فيه هذه الرؤيا فإنها لو لم تكن قد سطرت قبل بعثة المصطفى ﷺ ما كانت حجة في بابها، إذ سيرد عليها احتمال أن تكون مما دَوَّنه المسلمون ونسبوه إلى غابر الأزمان، كما قيل عن «إنجيل برنابا» الشهير.

(1) Hanan Eshel, "Dibre Hame'orot and the Apocalypse of Weeks" in Things Revealed, ed. Esther G. Chazon, et al. (Leiden: Brill, 2004), p. 149.

لكن اليهودي «إيشيل» قد كفانا المؤونة بقوله: "ومن المتفق عليه [عند العلماء] كذلك أن «رؤيا الأسابيع» أقدم رؤيا تاريخية يهودية باقية، وأنه ينبغي أن تؤرّخ بمنتصف القرن الثاني قبل الميلاد.^(١) أي قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ بأكثر من سبعمائة عام. وهناك من أعاد تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، كـ «جيمس تشارلزورث» محرر أشهر طبعة للأسفار المنحولة.^(٢) بل ذهب الأب «ترتوليان» (١٦٠-٢٢٥ م) - وهو من أكابر علماءهم والملقب بـ "أبي النصرانية اللاتينية"^(٣) - إلى أن سفر أخنوخ كتبه أخنوخ نفسه (إدريس عليه السلام) بوحي من الرب، أي قبل زمان نوح عليه السلام، وأفرد «ترتوليان» لذلك فصلاً أسماه «حول أصالة نبوءة أخنوخ».^(٤) وأياً كان الأمر فإننا سنسلم جدلاً لإجماع العلماء المعاصرين على أنه كتُبَ في منتصف القرن

(1) Hanan Eshel, p. 150.

(2) David N. Freedman, ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1996), vol. V, p. 539.

(3) Marcus Aurelius, The Apology of Tertullian, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894), p. vii.

(4) Rev. Alexander Roberts. The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325 (Cosimo, Inc., 2007), vol. IV, p. 15.

الثاني قبل الميلاد فهو كافٍ لإثبات قدم البشارة التي نحن بصدددها.

بقيت الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن الرؤيا تقسّم تاريخ العالم إلى عشرة أسابيع؛ وليس ثمة ما يحدد مدة هذه الأسابيع صراحة، ولذا وقع فيها الخلاف بين علماء أهل الكتاب على أقوال منها الغث ومنها السمين. يقول «روجر بيكويت» في كتابه «التقويم والتسلسل الزمني»:

من الملاحظ أن حدثاً واحداً مهماً على الأقل يحدث في كل أسبوع من هذه الأسابيع، ولكن في أربعة منها (السادس والسابع والثامن والعاشر) تجري عدة أحداث مهمة؛ وكذا في سبعة من الأسابيع (الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر) يحصل حدث مهم في "منتهاه" أو في "الجزء السابع"، ولا يقع هذا في الثلاثة الأخر. وهذا يدل على أن الأسابيع لا تتبع طولاً غير محدد أو عشوائياً، كما يفترض أحياناً؛^(١) وإلا لتوقع المرء أن يكون هناك حدث مهم واحد في كل أسبوع، وأن ينتهي الأسبوع بحدوث الحدث

(١) الكاتب هنا يرد على أمثال «ج. ت. ميليك» J. T. Milik ممن زعموا أن هذه الأسابيع تدل على حقب من التاريخ لا يطرّد فيها طول الوحدات الزمنية المستعملة (الأسابيع).

دائماً، وليس أحياناً. هذه النتيجة تؤيدها الأدلة التي تم بحثها [فيما سلف من كتابه] والتي تبرهن على أن الإسينين تحروا الدقة في قياس الزمن وانتظروا أحداثاً مهمة تحصل في فترات منتظمة يتم حسابها بضرب العددين المقدسين ٧ و ١٠ ببعضهما أو بنفسيهما. والكلمة "أسبوع" نفسها تتضمن العدد ٧، ولكن السؤال هو: سبعة ماذا؟ فالأسابيع هنا ليست أسابيع من الأيام أو الأعوام، فهذا زمن قصير جداً، فمم تتألف هذه الأسابيع إذن؟^(١).

ثم يعرض «بيكويث» الرأيين السائدين في هذه المسألة فيقول: "الرأيان الحقيقان بالنظر هما: [الأول] أن ١٠ أسابيع تعني أسابيع من الأجيال، و[الآخر] أنها أسابيع من القرون. لكن الاقتراح الأخير كما سنرى له حظ من المصادقية، بينما يبدو الأول ناتجاً عن سوء فهم مُطبق."^(٢)

(1) Roger Beckwith. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 244.

(2) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 244.

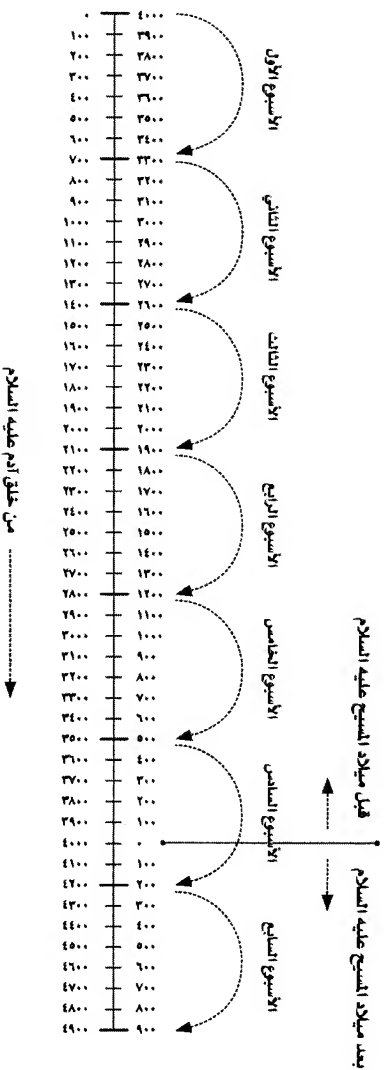
يؤيد هذا ما ذهب إليه «رتشارد لورنس» في تعليقه على الأسبوع الأول من الرؤيا بقوله: "من الواضح في نمط الحساب المتبنى هنا أن اليوم يقوم مقام مائة عام. وبناء عليه يكون الأسبوع تعبيراً عن سبعمائة عام."⁽¹⁾

فنحن إذن أمام نص للعدد فيه دلالة واضحة كما يرى «بيكويث» ويؤيده «لورنس»، وأسابعه يتألف الواحد منها من سبعة قرون. أي أن كل أسبوع من الأسابيع السبعة الأولى التي تعيننا في هذه الرؤيا، يعدل ٧٠٠ عام. وهذا المنهج الذي اقترحه «بيكويث» هو الذي سأسير عليه هنا مع بيان أخطاء علماء أهل الكتاب في تحليلهم للرؤيا.

وقد جعلتُ بداية خلق آدم ﷺ قبل الميلاد بأربعة آلاف عام تقريباً، معوّلاً على التوراة العبرانية التي هي عمدتهم، ولا يزال هذا التقدير هو الشائع عند من يقول بعصمة الكتاب المقدس؛ ومن مشاهير من قالوا به العالم الإيرلندي الشهير «جيمس أشر» الذي اعتمده في تقويمه المعروف بـ «تقويم أشر» Ussher Chronology، والحاخام «يوسي بن حلفتا»، والقديس «بيد» الملقب بالمبجل، والسير «إسحاق نيوتن»، مع اختلاف يسير بينهم. وإنما اعتمدت هذا التقدير من باب إلزام المعارض فهو حجة عليه لا علي.

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838), p. 242.

الخط الزمني لرؤيا الأسابيع



وقد أثرت أن أترجم نص الرؤيا عن الإنجليزية بنفسني معتمداً
النسخة المحققة التي نشرها «تشارلز» في كتابه «سفر أخنوخ»^(١)، لِمَا
رأيت من عدم الدقة أحياناً في الترجمات العربية المتاحة. وسأورد
النص أولاً ثم أعلق عليه.

رسالة أخنوخ، رؤيا الأسابيع، الإصحاح ٩٣:

١. ثم طفق أخنوخ يروي من الكتب.

٢. فقال أخنوخ: عن بني البر، وعن صفوة الخلق، وغراس
الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوخ - أي بني،
كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعلمت من كلام الملائكة الأطهار،
وتعلمت من ألواح السماء.

٣. فطفق أخنوخ يروي من الكتب [قائلاً]: ولدت السابع في
الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقين.

٤. ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه
تكون النهاية الأولى، وفيه يُنجى إنسان. وبعد أن ينقضي يتعاضم الإثم

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893), p. 271.

ويصنع الرب شريعة للخطاة.

٥. وبعدئذ، في الأسبوع الثالث، في منتهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

٦. وبعدئذ، في الأسبوع الرابع، في منتهاه، ترى رؤى القدوس والبار، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

٧. وبعدئذ، في الأسبوع الخامس، في منتهاه، يبنى بيت المجد والملكوت إلى الأبد.

٨. وبعدئذ، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم كلهم قد أسرها نسيان الحكمة الشرير؛ وفيه يصعد إنسان. وفي منتهاه يحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت.

٩. وبعدئذ، في الأسبوع السابع، سيقوم جيل كافر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

١٠. وفي منتهاه، يصطفى المصطفون الأخيار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

تفسير النص:

١. ثم طفق أخنوخ يروي من الكتب.

أخنوخ هو إدريس عليه السلام عند بعض علماء الإسلام، وقد أشار إلى هذا القول الإمام الطبري عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].^(١) وهذا القول وإن كان له حظ من النظر إلا أنه ليس له حظ من الأثر. أما حظه من النظر فمشابهة سيرة أخنوخ سيرة إدريس عليه السلام كرفعه إلى السماء وأنه أول من خط بالقلم (أو اخترع الكتابة على حد تعبير أهل الكتاب). أما من ناحية الأثر فإننا لا نملك نصاً صحيحاً صريحاً يشير إلى أن أخنوخ هو إدريس عليه السلام فيما أعلم، وبناء عليه فلا يمكننا الجزم بطبيعة "الكتب" المشار إليها في النص. وأياً كان الأمر فإن هذه النسبة لا تعنينا كثيراً في هذه الدراسة.

٢. فقال أخنوخ: عن بني البر، وعن صفوة الخلق، وغراس الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوخ - أي بنِّي، كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعلمت من كلام الملائكة الأطهار،

(١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م، ١٠ / ٧٩.

وتعلّمت من ألواح السماء.

هذا الذي يرويه لنا أخنوخ عن "صفوة الخلق" و"غراس الاستقامة" مما تلقاه - إن ثبتت نبوته - من الوحي السماوي عن طريق الملك. وأما "ألواح السماء" فلعلها اللوح المحفوظ. وهذا كله على افتراض صحة ما نُقل إلينا، وإلا فمثله لا يثبت إلا بإسناد صحيح.

٣. فطفق أخنوخ يروي من الكتب [قائلاً]: ولدت السابع في الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقيين.

هنا يبدأ الحديث عن السبعمئة عام الأولى منذ خلق آدم عليه السلام إلى نهاية الأسبوع الأول.

قوله "ولدت السابع في الأسبوع الأول" يحتمل أن يكون المراد منه: ولدت في القرن السابع من الأسبوع الأول. وهو معنى صحيح، فأغلب علماء أهل الكتاب على أن «أخنوخ» ولد عام ٦٢٢ منذ بدء الخليقة، وهذا يجعله في القرن السابع تماماً. ويحتمل أن يكون المراد ترتيبه من بين الآباء العشرة من آدم إلى نوح عليهما السلام، وهذا أيضاً صحيح؛ فالآباء العشرة عند أهل الكتاب هم: ١. آدم. ٢. شيث. ٣. إنوش. ٤. قينان. ٥. مهلائيل. ٦. يرد. ٧. أخنوخ. ٨. متوشلح. ٩.

لامك ١٠. نوح. يؤيد هذا ما ورد في رسالة يهوذا (١: ١٤) المشار إليها أعلاه حيث جاء فيها "وَتَبَّأَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ، السَّابِعُ مِنْ آدَمَ." قوله "إذ لم يزل الحكم والبر باقين"، هذا صريح في أن البشر كانوا على الجادة إلى زمن أخنوخ، وأنهم كانوا يُحْكَمُونَ شرع الله ويعبدونه دون سواه. وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام."^(١) ونوح من أحفاد أخنوخ كما يذكر علماء الأنساب.

٤. ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه تكون النهاية الأولى، وفيه يُنَجَّى إنسان. وبعد أن ينقضي يتعظم الإثم ويصنع الرب شريعة للخطاة.

هذا الأسبوع الثاني من رؤيا أخنوخ، ويمتد تقريباً بين ٧٠٠-١٤٠٠ منذ بدء الخلق؛ وهي الحقبة التي ظهر فيها نبي الله نوح عليه السلام وأغرق الله فيها الكافرين باعتراف علماء أهل الكتاب. فقد

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره والحاكم بإسناد على شرط البخاري كما قال الحاكم، ووافقه الذهبي.

ذكر «جون كولينز» أن في الفقرة "إشارة إلى نوح".^(١) وقال «تشارلز» في تعليقه على هذا النص: "هذا الأسبوع يشمل الطوفان والعهد مع نوح"^(٢)، كذلك ينص «بيكويث» على أن "النهاية الأولى" هي الطوفان، وأن "الإنسان" الذي ينجو هو نوح ﷺ. (٣)

قوله "ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر" يشير إلى معنى قريب من قول الله ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكْرُؤًا مُّكَرًّا ۝ كَبَارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا يَا إِلَهَتُكُمُ وَلَا تَذَرْنَا وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝﴾ [نوح: ٢١-٢٣].

وقد روى البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] عن ابن عباس ؓ قوله: "... أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوَهَا

- (1) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997), p. 21.
- (2) R. H. Charles. The Book of Enoch, p. 272.
- (3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 243.

بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَيْكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ
عُبِدَتْ. ^(١)

فهذا هو "الشر العظيم"؛ وأي شر أعظم من الشرك بالله وعبادة
الأوثان بعد أن كان الناس على توحيد الله تبارك وتعالى؟ ومن عجب
أن قرئت هذه الفقرة من رؤيا أخنوخ بين الشر العظيم وظهور المكر،
كما أن الآية قرنت بين عبادة الأوثان والمكر الكُبار، فعُلم من الآية
الكريمة أن المقصود به مكُرهم في معاندة الحق، وتزينهم لقومهم عبادة
الأصنام.

دعاهم نوح عليه السلام ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فما زادهم ذلك
إلا إمعاناً في البعد عن الحق، حتى إنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم لا
يريدون سماعه، فلما يئس من إيمانهم توجه إلى ربه قائلاً ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ
عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ^(٢١) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا
فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿[نوح: ٢٦-٢٧].

وهنا كانت "النهاية الأولى"، إذ أمر الله نبيه نوحاً عليه السلام ببناء
الفلك، وسلط على الكافرين المعاندين طوفاناً عظيماً غمر جميع

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٦٣٦.

الأرض فلم ينج إلا نوح عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين، وهذا معنى قول أخنوخ: "وفيه يُنَجَّى إنسان". قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝٧٥﴾ وَبَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات: ٧٥-٧٧]. فكل من جاء من بعد نوح عليه السلام إنما هو من ذريته.

لكن الشيطان ما زال بذرية نوح عليه السلام حتى طغى منهم قوم عاد وتعاضم شرهم، وكانوا من أول الأمم عبادةً للأصنام بعد الطوفان؛ فأرسل الله إليهم رسوله هوداً عليه السلام ليلغهم رسالة ربه. قال تعالى في شأنهم: ﴿وإِلَى عادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّكَ لَنرَكُ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٦٦﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٧﴾ أَتَلْعَبُكُمْ بِرِسَالَتِي ربي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ يَسْتَدْرِكُكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٩].

ولعل شأن قوم عاد هؤلاء وثمرود من بعدهم، هو ما أشارت إليه الفقرة بقولها: "وبعد أن ينقضي، يتعاضم الإثم ويصنع الرب

شريعة للخطاة." فبعد أن انقضى الطوفان، عادت أقوام إلى الشرك كعادٍ وثمرود، فأرسل الله إليهم رسلاً فكذبوهم فأهلكهم الله. وما زال هذا دأب الأمم المعاندة إلى منتهى الأسبوع الثالث.

٥. وبعده، في الأسبوع الثالث، في منتهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

قوله: "في الأسبوع الثالث، في منتهاه" يدل دلالة بيّنة على أن الوحدات الزمنية (الأسابيع) التي يوظفها أخنوخ في هذا النص مقصودة لذاتها وليست تعبيراً مطلقاً عن مدة طويلة فحسب. فالفقرة هنا لا تكتفي بالإشارة إلى حدث في الأسبوع الثالث، بل تحدد مكان الحدث على الخط الزمني الذي ترسمه لنا رؤيا الأسابيع. هذا الأسبوع وفقاً لخط الزمن يقع بين عامي ١٤٠٠-٢١٠٠ منذ بدء خلق آدم ﷺ. وقبل أن نحدد زمن الحدث نتعرف على الحدث نفسه.

يقول النص: "في الأسبوع الثالث، في منتهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار". بمعنى: أن الرب سيصطفى في نهاية هذه الحقبة الزمنية واحداً من البشر ليكون غرسة مباركة تؤتي أكلها إلى الأبد كما يفسره قوله "وراءه يقوم أبداً غراس البر". وفي ترجمة

«تشارلز» ١٩١٧ "وتصبح ذريته غراس البر إلى الأبد" ^(١) وهي أصرح. لما أغرق الله أهل الكفر في زمن نوح عليه السلام، جعل ذريته هم الباقين؛ فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح. لكن الحديث عن نوح عليه السلام قد سبق في الأسبوع الثاني ولا يستقيم أن يكون هو المراد هنا؛ فمن هو المراد يا ترى؟ يتبين لنا ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: "يخبر تعالى أنه مُدْبِعُ نوحاً، عليه السلام، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، لم يُنْزَلْ من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالة." ^(٢) وقال إمام المفسرين الطبري: "وكذلك كانت النبوة في ذريتهما [يعني نوحاً وإبراهيم عليهما السلام]، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة." ^(٣)

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]), p. 210.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث)، ٧ / ٥٧٩.

(٣) تفسير الطبري، ٢٧ / ٢٤٥.

فعلم أن المراد بالإنسان الذي يكون في ذريته الحكم بشرع الله والبرُّ والعدلُّ إلى الأبد، هو خليل الله إبراهيم عليه السلام. وهذا ليس بدعاً من القول، فهو ما ذهب إليه علماء أهل الكتاب عند تفسيرهم هذه الفقرة. يقول «تشارلز» معلقاً على النص: "هم إبراهيم وذريته المختارون ليكونوا السلالة التي فيها ومن خلالها يوحى الله أحكامه العادلة." ^(١) ومثل هذا ذهب إليه «جون كوليتز» في كتابه «الرؤى في مخطوطات البحر الميت» ^(٢)، والشواهد على هذا كثيرة. وقد خالف في هذا «روجر بيكويت» فزعم أن "الإنسان" المراد في النص هو يعقوب عليه السلام؛ وهي محاولة بائسة لحصر النبوة والكتاب في بني إسرائيل (يعقوب) واستبعاد بني إسماعيل عليه السلام الذين هم من ذرية إبراهيم عليه السلام بصريح كتابهم. ولعل هذا ما جعل «بيكويت» يورد زعمه بصيغة الاحتمال لا الجزم. ^(٣)

هذا هو الحدث العظيم الذي جعله أخنوخ في نهاية الأسبوع الثالث، إنه اصطفاء الخليل عليه السلام ليكون حاملاً للواء التوحيد هو ومن

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

(2) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls, p. 21.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 246.

صلح من ذريته حتى ادّعى النسبة إليه أقوام لم يكونوا من أهل التوحيد طمعاً في أن ينالوا الشرف.

أما زمانه فقد عاش عليه السلام، وفقاً للموسوعة الكاثوليكية بل وفقاً للرأي السائد بين علماء أهل الكتاب؛ في بداية الألف الثانية قبل الميلاد،^(١) وهذا يضعه في نهاية الأسبوع الثالث تماماً كما ورد في رسالة أخنوخ.

٦. وبعده، في الأسبوع الرابع، في منتهاه، ترى رؤى القدوس والبر، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

يستمر أخنوخ في سرده لأحداث العالم الكبرى ليقفنا على ما يجري في الأسبوع الرابع. والأسبوع الرابع على الخط الزمني يمتد بين ٢١٠٠-٢٨٠٠ من تاريخ خلق آدم عليه السلام. لكن النص يحدد هنا - كما حدد في الأسبوع الثالث - منتهى الأسبوع ليكون زمن وقوع الحدث، فيقول: "في الأسبوع الرابع، في منتهاه، تُرى رؤى القدوس والبر"، وقد ذهب «تشارلز» إلى أن المقصود هو "التجليات الربانية لصالح

(1) The Catholic Encyclopedia, "Biblical Chronology"
<www.newadvent.org/cathen/03731a.htm>.

إسرائيل في مصر"⁽¹⁾، أي ما ظهر من نصره الله بني إسرائيل في مصر وإهلاكه فرعون وقومه، وهو معنى مقبول.

ومما يعضد ما ذهب إليه «تشارلز» قول أخنوخ بعده "وتُصنع لكل أجيال المستقبل شريعةً وحظيرة". وهذه إشارة إلى "شريعة" التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى ﷺ بعد خروج بني إسرائيل من مصر. أما "الحظيرة" - وهي الأرض المسورة - فقد اختلف في تفسيرها على قولين مشهورين، أحدهما: فلسطين، والآخر: خيمة الاجتماع أو سورها، وهي المعبد المتنقل الذي صحب بني إسرائيل في تيههم وبعد دخولهم إلى فلسطين. وأيهما كان الصواب فلا فرق، فالنص يتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر ونزول التوراة وبناء خيمة الاجتماع أو دخول فلسطين، وكل ذلك كان في زمن موسى ﷺ، وهو المراد إثباته دون حاجة إلى الخوض في التفاصيل.

ولكن هل يتزامن ظهور موسى ﷺ مع منتهى الأسبوع الرابع كما يشترط النص؟

ثمة رأيان مشهوران لعلماء أهل الكتاب في تحديد زمن مبعث

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

موسى عليه السلام بناء على اختلافهم في تحديد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر. فالرأي التقليدي يذهب إلى أن الخروج من مصر كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ عمدتهم في هذا المذهب ما جاء في سفر الملوك الأول (٦: ١) «وَكَانَ فِي سَنَةِ الْأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ...»، فإذا كان ابتداء ملك سليمان عليه السلام عام ٩٧٠ ق.م كما هو الراجح عند علماء أهل الكتاب، فإن خروج بني إسرائيل من مصر كان في سنة ١٤٤٦ ق.م تقريباً،^(١) وعليه فإن فرعون موسى عليه السلام عند القائلين بهذا الرأي هو «تحتس الثالث» الذي حكم بين ١٤٧٩ - ١٤٢٥ ق.م

وهذا القول لا يخلو من أغلاط، منها:

أولاً: زعمُ النص المسوري العبراني أن السنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام توافق "سنة الأربع مائة والثمانين" (٤٨٠) لخروج بني إسرائيل؛ يعارض ما جاء في النسخة السبعينية اليونانية الأقدم من أنها توافق "سنة الأربع مائة والأربعين" (٤٤٠)، مما يدل على اضطراب النص.

(١) (٤٨٠ + ٩٦٦) [السنة الرابعة من حكم سليمان عليه السلام = ١٤٤٦].

ثانياً: إذا قمنا بحساب السنين من خروج بني إسرائيل إلى السنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام على وجه التفصيل، فإننا نخلص إلى تقديرات بعيدة عن التقديرين المذكورين في النصين العبراني واليوناني، ٤٨٠ و ٤٤٠ عاماً على التوالي، كما بيّن ذلك «أ. س. جیدن» في مدخل «سفر القضاة» الذي كتبه للموسوعة الكتابية الشهيرة International Standard Bible Encyclopedia^(١).

كما نقرأ في «قاموس أنكور الكتابي»:

إن "حلّ الكسول" ببساطة هو أن تجعل الـ ٤٨٠ عاماً المصرح بها في سفر الملوك الأول (٦: ١) بين الخروج [من مصر] وبين السنة الرابعة من ملك سليمان (تقريباً ٩٦٦ ق.م)، فيكون الخروج في عام ١٤٤٦ ق.م، لكن هذا الحل الساذج يستبعده زخم المعلومات الكتابية الأخرى مضافاً إليها معلومات مستقاة من خارج النص. فالزمن الفارق بين الخروج [والسنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام] ليس ٤٨٠ عاماً، بل يربو على ٥٥٣ عاماً... إذا ما نجشّمنا عناء الدراسة

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Judges, Book of".

المفصلة لشخصيات تلك الحقبة.^(١)

أخيراً، هذا القول مع اضطراب نصه الذي يعوّل عليه، يخالف ما توصّل إليه علماء الآثار والتاريخ من حقائق حول تاريخ المصريين والكنعانيين تستبعد حصول الخروج في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وقد أقرت بهذه الحقيقة «الموسوعة اليهودية» إذ قالت:

يتفق أكثر العلماء على أن القرن الخامس عشر قبل الميلاد تاريخ متقدم جداً على الخروج [من مصر] ولا يتفق مع المعلومات الأخرى حول التواريخ الإسرائيلية والكنعانية والمصرية.^(٢)

أما الرأي الآخر في المسألة فيجعل خروج بني إسرائيل في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. لكن الخلاف بين القائلين به يكمن في تحديد فرعون الخروج، هل كان «رعسيس الثاني» أم ابنه «مرنبتاح»؟ وهذا الرأي في عمومه أرجح من سابقه لأسباب، منها:

أولاً: جاء في سفر الخروج (١: ١١) عند الحديث عن استعباد فرعون لبني إسرائيل: "فَعَهْدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عَتَاةٍ

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus", vol. II, p. 702.

(2) Encyclopedia Judaica, (CD-ROM Edition), "Exodus".

لِيَسْخَرُوهُمْ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. فَبَنُوا مَدِينَتِي فِيثُومَ وَرَعْمَسِيَسَ لِيَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. "و«رعمسيس» هذه مدينة على الدلتا الشرقية بناها «رعمسيس الثاني» فسميت باسمه؛ وهي التي كان منها خروج بني إسرائيل بنص سفر الخروج (١٢: ٣٧). و«رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م تقريباً، وعليه فلا يمكن أن يكون الخروج من مصر سابقاً لبداية حكم رعمسيس الثاني، أعني ١٢٧٩ قبل الميلاد.

ثانياً: باستعراض مدد حكم الفراعنة كما تُقدّمها الدراسات التاريخية/ الأثرية، يتبين لنا طول مدة حكم «رعمسيس الثاني»، وهو ما لم يتأتّ لابنه «مرنبتاح» الذي حكم عشر سنين فقط؛ وهذا يستفاد من قول الله ﷻ على لسان فرعون وهو يمتن على موسى ﷺ برعايته مذ كان وليداً: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ﴾ (١٩) قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ (٢٢) [الشعراء: ١٨-٢٢]. ففيه إشارة إلى أن فرعون الذي تربى موسى ﷺ

في بلاطه هو فرعون الذي استعبد بني إسرائيل، وهو فرعون الذي استحق العقاب بالغرق؛ خلافاً للعهد القديم الذي يجعلها فرعونين

اثنين؛ علماً بأن جل علماء أهل الكتاب القائلين بتأخر تاريخ الخروج من مصر يرون أن فرعون الاستعباد هو «رعمسيس الثاني».

ثالثاً: عُرف «رعمسيس الثاني» من بين فراعنة مصر بكثرة بناء الصروح والمعالم والتماثيل، حتى وصفه «كليتون» Clayton بقوله: "يقف رعمسيس الثاني علماً من بين فراعنة مصر كبناءً للمعالم والنُصب".^(١) تؤكد هذا الموسوعة البريطانية بقولها: "يعرف بمشاريعه المعمارية الواسعة".^(٢) وهذا أيضاً يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]؛ وقوله جل شأنه: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

أخيراً، نجد «قاموس أنكور الكتابي» يختم بحثه في تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر بقوله: "باختصار، فإن أرجح تاريخ لخروج العبرانيين [بني إسرائيل] من مصر يقع في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد".^(٣)

(1) P. A. Clayton, Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994), pp. 153.

(2) Encyclopaedia Britannica, "Ramses II".

(3) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus".

وإذا علمنا أن «رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م، أمكننا القول بكل ثقة بأن فرعون موسى ﷺ هو «رعمسيس الثاني» إذ لم يشاركه حكم مصر أحد في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وهذا ما نص عليه تفسير الكتاب المقدس المعروف باسم The NIV Study Bible من أن فرعون الخروج هو «رعمسيس الثاني».^(١)

بناءً على ما سبق فإن موسى ﷺ عاش في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ مطابق تمام المطابقة لما اشترطه أخنوخ من ظهوره في نهاية الأسبوع الرابع لبدء الخليقة. وإنما أطلت الحديث عن تحديد فرعون الخروج ومن ثم ظهور موسى ﷺ للحاجة إليه فيما بعد فيُستغنى ببيانته هنا.

يلحظ القارئ فيما سبق أننا تمكنا من تفسير النص يسر بالغ عندما قسمنا الأسبوع الواحد إلى سبعة قرون أو ٧٠٠ عام، فجاءت الأحداث في موضعها على الخط الزمني دون تكلف أو تعسف. كما أن تفسيرنا للأحداث والأشخاص يكاد يكون محل إجماع عند علماء

(1) The NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995), p. 287.

أهل الكتاب. ولكن ليس الحال كذلك فيما تبقى من النص كما سنرى، والسبب في ذلك سيتجلى للقارئ في حينه.

٧. وبعده، في الأسبوع الخامس، في منتهاه، يُبنى بيت المجد والملوك إلى الأبد.

نحن هنا بين عامي ٢٨٠٠-٣٥٠٠ منذ بدء خلق آدم عليه السلام (الموافق لـ ١٢٠٠-٥٠٠ ق.م). أما "بيت المجد والملوك" فهو "بيت المقدس" أو "الهيكل" كما يسميه اليهود، ولا أعلم أحداً من أهل الكتاب المعتبرين خالف في ذلك. لكن موطن الخلاف هو أي الهيكلين أراد؟ هل أراد به بناء «الهيكل الأول» على يد سليمان عليه السلام في القرن العاشر ق.م، أم بناء «الهيكل الثاني» عام ٥٢٠-٥١٥ ق.م؟

لنفترض جدلاً أنه البناء الأول أو «الهيكل الأول» كما يسميه اليهود - وهو الرأي الذي ذهب إليه ريتشارد لورنس^(١) - فكم سيكون بين ذلك البناء وبين موسى عليه السلام الذي هو حديث الأسبوع الرابع؟ لقد امتد ملك سليمان عليه السلام كما تقدره المصادر بين ٩٧٠-٩٣٠ ق.م، أي بعد وفاة موسى عليه السلام بثلاثمائة (٣٠٠) عام تقريباً على ما رجحناه

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet, p. 139.

من زمن ظهور موسى ﷺ، وهذا أقل من نصف المدة التي يشترطها سفر أخنوخ وهي ٧٠٠ عام؛ فإنه جعل أحداث الأسبوع الرابع في منتهاه وهو هنا يشترط نفس الشيء، فدل على أن ما بينهما أسبوع أو ٧٠٠ عام تقريباً.

لكن قائلاً قد يقول: إنك إنما بنيت حسابك على ما زعمت أنها التواريخ الصحيحة لخروج بني إسرائيل وهذا من التحكم، ولو أعملت حسابات علماء أهل الكتاب لما وقع هذا التناقض.

أقول: إن علماء أهل الكتاب - كما فصلنا - مختلفون أشد الاختلاف في تحديد زمن خروج بني إسرائيل من مصر على ما هو معلوم عند أهل الاختصاص، فمنهم من جعله عام ١٤٤٦ ق.م، ومنهم من سلم بأن الخروج كان بعد هذا التاريخ بمائتي عام على الأقل كما صنع كثير من علماء أهل الكتاب، من أشهرهم عالم الآثار «ويليام أولبرايت»^(١).

(1) William F. Albright, From The Stone Age To Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957), 256.

أما اليهودية الحاخامية فتأخذ بتقويم «سِدر عولام ربّاه» (تقويم العالم العظيم) الذي يحدد الخروج من مصر بـ ٢٤٤٨ عاماً منذ خلق آدم عليه السلام، أي في عام ١٥٥٢ ق.م تقريباً إذا ما اعتمدنا تواريخ النسخة المسورية للعهد القديم التي تجعل خلق آدم عليه السلام قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام. وهذا التحديد للخروج من مصر سيجعل الفرق بينه وبين بناء الهيكل الأول ستمائة عام ونيفاً، وهو وإن اتفق إلى حد كبير مع اشتراط أخنوخ في رؤياه، إلا أنه يناقض صراحة نص كتابهم، إذ يحدثنا سفر الملوك الأول (٦: ١) قائلاً: «وَكَانَ فِي سَنَةِ الْأَرْبَعِ مِئَةِ وَالسَّامِنِ الْخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمَلِكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زَيْوَ وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ». فنص كتابهم على أن ما بين الخروج إلى بناء الهيكل الأول ٤٨٠ سنة، وهو حجة عليهم.

أما إذا اعتبرنا بداية الخلق عام ٣٧٥١ ق.م كما هو تقدير «سدر عولام رباه» أو عام ٣٧٦١ ق.م وفقاً للتقويم اليهودي الحالي، فإن خروج بني إسرائيل من مصر سيكون عام ١٣١٤ ق.م تقريباً، وهو تقدير بين التقديرين الشائعين لزمن الخروج، فلا هو اتفق مع حسابات النسخة المسورية العبرانية، ولا هو اتسق مع الأبحاث التاريخية/ الأثرية.

وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة حسابات من زعم أن الخروج من مصر كان في القرن الخامس عشر أو السادس عشر قبل الميلاد - وهو خطأ محض - فنحن أمام معضلة أخرى وهي تقاصر المدة بين إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام حتى تصير إلى خمسمائة عام.

ونحن لو تتبعنا الخط الزمني كما صوّره أخنوخ، بغض النظر عن تفاصيل الأحداث، فإننا سنجد أن نهاية الأسبوع الخامس تكون عند عام ٣٥٠٠ منذ خلق آدم عليه السلام وهو ما يوافق السنة ٥٠٠ ق.م، فإن كان ثمة بناءً للهيكل في نهاية الأسبوع السادس فهو البناء الثاني بلا ريب، وقد تم ذلك على يد العائدين من السبي البابلي بين عامي ٥١٥ - ٥٢٠ ق.م وهذا الهيكل هو المعروف بالهيكل الثاني The Second Temple كما سيتضح جلياً مما بقي من الرؤيا.

أما وصف أخنوخ بناء بيت المجد والملكوت بقوله "إلى الأبد" فلعل المراد به أنه لن يزول زوالاً تاماً، أما إحراقه أو هدم أجزاء منه فقد حدث بالفعل كما تبينه الفقرة التالية.

٨. وبعده، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة؛ وفيه يصعد

إنسان. وفي منتهاه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت.

يشرع أخنوخ في الحديث عن الأسبوع السادس الذي يمتد بين عامي ٣٥٠٠-٤٢٠٠ منذ خلق آدم عليه السلام (الموافق لـ ٥٠٠ ق.م- ٢٠٠م)، فيصف أحداثاً "فيه" وأحداثاً "في منتهاه". فأما الأحداث التي في أثناء الأسبوع دون تحديد لزمان فيشمّلها قوله: "كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة." فإن اليهود عقب عودتهم إلى فلسطين بعد أن سباهم بختنصر البابلي أخرج لهم «عزرا» ديناً مولداً هجيناً يجمع بين وثنية الفرس والبابليين ودين موسى عليه السلام، وعلى أساس هذا الدين قام الهيكل الثاني. يقول حزقيال، الإصحاح الثامن، واصفاً حال «الهيكل الثاني» وسدنته وشيوخه والمُصلّين فيه بعد السبي البابلي:

فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ
وَالْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ
عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُدُرَانِ، وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلًا
مِنْ سُيُوحِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ ... وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَةٌ
تَتَصَاعَدُ مِنْهَا عَمَامَةٌ عَطِرَةٌ مِنَ الْبُخُورِ ... ثُمَّ أَحْضَرَنِي [ملاك

الرب أو نحوه] إِلَى الْمَذْخَلِ الشَّمَالِيِّ لِبَوَابَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبْنَ تَمُوزَ... ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْفَنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لِبَيْتِ الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَذْخَلِ هَيْكَلِ الرَّبِّ بَيْنَ الرُّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْوُ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا أَذَارُوا ظُهُورَهُمْ هَيْكَلِ الرَّبِّ، وَاتَّجَّهُوا بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ.

وهذه كلها من مظاهر عبادة الشمس التي كانت منتشرة في أرض بابل فدخلت في عقائد اليهود. يقول «قاموس آنكور الكتابي»: "بَقِيَتْ عِبَادَةُ الشَّمْسِ بَعْدَ السَّيْبِيِّ وَاحِدَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ الْوُثْنِيَةِ الْأَكْثَرِ شَيْعَاً بَيْنَ يَهُودِ فَلَسْطِينَ كَمَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْمَصَادِرُ الْخَارِجِيَّةُ... لَقَدْ صُرِفَتْ بَعْضُ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَخْصُ الشَّمْسَ الْمُؤَلَّهَةَ إِلَى يَهُوَهَ [مَعْبُودِ الْيَهُودِ] الَّذِي اكْتَسَبَ بِذَلِكَ مَظْهَرًا شَمْسِيًّا."

ثم يضيف: "إن عدداً من العلماء يرى أن الهيكل في أورشليم صُمِّمَ كَمَرْكَزٍ لِعِبَادَةِ الشَّمْسِ حَيْثُ يُعْبَدُ الرَّبُّ كَالِهَ شَمْسٍ...".^(١) وقد فصلت في تأثير الوثنية الفارسية/ البابلية على يهود ما بعد السبي في غير هذا الموضع فلا حاجة لإعادته.^(٢)

(1) Anchor Bible Dictionary, "Sun".

(٢) أنظر كتاب: اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، (الرياض: مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ١٤١٣هـ/ ٢٠١٠م) ص ٣٩-٥٣.

المقصود أن بني إسرائيل حادوا عن منهج الأنبياء إلا من رحم الله منهم، وتولى كبر هذا الكفر منهم طائفة الفريسيين إلى زمن عيسى بن مريم عليهما السلام. وقد سجل العهد الجديد موقفهم من نبوة المسيح عليه السلام وعداءهم لرسالته وتآمرهم على قتله وصلبه، لكن الله نجاه منهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿[النساء: ١٥٧-١٥٨].

هذه الحقيقة التي لا لبس فيها عند أهل الإسلام هي التي أقرها سفر أخنوخ بقوله عن المسيح عليه السلام: "وفيه يصعد إنسان"، فهو أولاً "إنسان" وليس إلهاً أو ابناً للإله، ثم إن الكاتب اكتفى بذكر الصعود إلى السماء فلم يذكر قتلاً ولا صلباً. وهاتان مسألتان - أعني بشرية المسيح عليه السلام وعدم صلبه - خالف فيها النصارى أهل الإسلام، وها هو أخنوخ يشهد فيها لأهل الإسلام. وقد زعم بعض شراح أهل الكتاب أن المقصود بالإنسان في الفقرة «إيليا»، وهو قول مردود كما سأيّنه في حينه.

تلك هي الأحداث التي "في" الأسبوع، أما التي "في" متنهاه" فقولته: "وفي متنهاه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيتشتت."

أما "بيت الملكوت" فهو بيت المقدس (أو الهيكل الثاني) كما تقدم. وقد يقول قائل: إن الهيكل الأول أحرق كذلك على يد بختنصر البابلي فلم رجحت دون مرجح؟

فأقول: إن الزعم بأنه الهيكل الأول بعيد كل البعد كما سبق، فإن الهيكل الأول بني زمن سليمان عليه السلام في أثناء مملكته (٩٧٠-٩٣٠ ق.م تقريباً) ولم يكن ذلك في منتهى الأسبوع الخامس كما يشترط سفر أخنوخ بل في نصفه الأول. وكان تدمير الهيكل وحرقه في ٥٨٧ ق.م أي قبل دخول الأسبوع السادس أصلاً، علماً أن النص يشترط أن يكون البناء والإحراق في منتهى الأسبوعين الخامس والسادس على التوالي، فكيف تكون الإشارة إلى التدمير الأول؟

فإن قال قائل: إن ما بين بناء الهيكل الأول وبين هدمه من الزمان هو مقياس طول الأسبوع في رؤيا أخنوخ، على خلاف ما انتهجتم.

قلنا: بناء الهيكل كان في ٩٦٧ ق.م تقريباً، وإحراقه كان في

٥٨٦ ق.م وبينهما كما هو ظاهر ٣٨١ عاماً فقط، فهل هذه هي مدة "الأسبوع" في رؤيا أخنوخ؟! إن هذا يعني أن ما بين ميلاد أخنوخ الذي ولد في منتهى الأسبوع الأول وإبراهيم عليه السلام الذي عاش في منتهى الأسبوع الثالث ٧٦٢ عاماً فقط (أسبوعين)! وهذا من الوهم، فإن بينهما ضعف هذا العدد من السنين على ما قرره علماء أهل الكتاب أنفسهم.

فتبين بذلك أن المقصود بالهيكل في الأسبوعين الخامس والسادس هو «الهيكل الثاني» الذي بناه اليهود برعاية من الفرس بعد أن عادوا من السبي البابلي. وعليه فيبطل زعم من زعم أن "الإنسان" الذي "يصعد" في هذه الفقرة هو نبي الله «إيلياء» (إلياس عليه السلام) وليس المسيح عليه السلام، فإن بينهما عقوداً.

هذا فيما يتعلق بالحدث الأول في منتهى الأسبوع السادس، أما الحدث الثاني فهو أن "كل نسل الأصل المختار سيتشتت". وهو إشارة إلى شتات اليهود في القرن الأول الميلادي لا سبيهم على يد بختنصر. فإن اليهود لما ثاروا على الحكم الروماني بين عامي ٦٦ و١٣٦م لأسباب مختلفة، انتهى الأمر بإحراق بيت المقدس وتدميره، وقتل منهم خلق كثير، وأُخرجوا من القدس التي أصبحت تسمى «إيليا كابيتولينا»؛

وتفرّق اليهود في أنحاء إفريقيا وآسيا وأوروبا، وهو ما يعرف باسم الـ «دياسبورا» أي «الشتات». وهذه الأحداث تنتهي بنهاية الأسبوع السادس.

٩. وبعده، في الأسبوع السابع، سيقوم جيل كافر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

بعد أن تسلط الروم على بني إسرائيل واضطهد من كان على دين المسيح عليه السلام، اندرس الدين وقام جيل مرتد كافر بالله ﷻ يعبد الأصنام ويأكل الميتة ويأتي الفواحش ويقطع الأرحام؛ ولم يبق على التوحيد إلا قليل من أهل الكتاب. قال ﷺ كما في صحيح مسلم: "وإنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" ممن تمسكوا بدين الأنبياء إلى أن بعث الله سيد الخلق محمداً ﷺ.

١٠. وفي منتهاه، يصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

هنا تقشعر الجلود، وتخفق القلوب، وتذرف العيون، ويقف المرء مشدوهاً ما عساه يقول. إن أخنوخ الذي يحدث بنيه عن "بني البر، وصفوة الخلق، وغراس الاستقامة" ينتهي بنا إلى مشهد جليل

فيقول: "وفي منتهاه" أي منتهى الأسبوع السابع "يُصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية". ومن هم الصفوة الأبرار إلا محمد ﷺ وأُمته؟ الذين دك الله بهم صروح الكفر، وتضعضع لهم جبابرة الروم والفرس، وبلغ ملكهم مشارق الأرض ومغاربها، كما قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ".^(١)

الله أكبر! إنه - والله - لشرف الدهر أن تكون من أتباع المصطفى ﷺ.

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك (يا عبادي) وأن صيرت أحمد لي نبياً

إنه صفوة الخلق كما قال عن نفسه: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ".^(٢) إنه من نسل أبيه إبراهيم عليه السلام الذي اصطفاه الله في الأسبوع الثالث من الرؤيا ليكون غراساً للبر، وتكون ذريته غراس البر إلى الأبد. فكانت النبوة في ذريته

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، حديث رقم ٢٨٨٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٧٦.

من إسحاق عليه السلام حتى ختمت برفع المسيح عليه السلام. ثم جعلها الله في ذرية إبراهيم عليه السلام من نسل ابنه إسماعيل عليه السلام فكانت رسالة الإسلام الخالدة التي نسخت كل ما قبلها من الرسالات.

وقد علق «جون كولنز» على هذه الفقرة بقوله:

في رؤيا الأسابيع الأخنوخية، تأتي نقطة التحول باختيار الصفوة الأبرار في الأسبوع السابع الذي يأتي مباشرة في أعقاب تدمير الهيكل. هذا الأسبوع يقطنه "جيل كافر". بل إن الهيكل الثاني [بيت المقدس] لا يُعترف به هنا، فيبدو من المطمئن أن نستنبط أن "الصفوة الأبرار" قد صُرفوا عنه.⁽¹⁾

قلت: هذا استنباط ذكي جداً، وهو حق؛ لكنهم لم يصرفوا عن بيت المقدس بعدة ولا بعناد، وإنما صرفوا عنه بوحى من الله ﷻ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

(1) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 267.

﴿قَدْ رَأَى نَفْلًا وَجْهًا فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] فَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ. ^(١)

وبالرغم من أن ذكاء «كولينز» لم يهده إلى الإقرار بأن صفوة الأبرار هم أتباع محمد ﷺ، إلا أنه يضيف قائلاً:

لقد أعطوا «سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه» - باختصار، إنهم ينعمون بوحى فريد special revelation. إن ظهور «الصفوة الأبرار» هو في حد ذاته ذروة التاريخ. ^(٢)

فمن معاني قول أخنوخ: "ليناو سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه" مضاعفة الله لهذه الأمة في الفضل والأجر، فقد أرسل الله إليها خير رسله، وأنزل عليه أفضل كتبه. قال الحسن البصري - رحمه الله -: "أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، حديث رقم ٦٨٢٥.

(2) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism, p. 267.

الأربعة الفرقان ... " (١) فهو كما قال «كولينز» "وحي فريد".

كما ضاعف الله لهذه الأمة أجور أعمالهم فرضي منهم باليسير وأثابهم عليها بالأجر الجزيل كما في الصلوات الخمس، فإنها خمس في العدد لكنها خمسون في الأجر. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَلَاءًا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ. فَغَضِبْتُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً! قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ حَقَّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ. " (٢)

فتبين لكل قارئ منصف باحث عن الحق أن المصطفين الأبرار في الأسبوع السابع هم أتباع رسالة الإسلام الخالدة الذين جعلهم الله شهوداً على من سبقهم من الأمم كما قال في كتابه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٧ / ١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث رقم ٢١٤٩.

[البقرة: ١٤٣] وقال أيضاً: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَعَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وفي الصحيح عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبَّ! فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ..." (١) الحديث.

فلا غرو أن جاء في النسخة الآرامية من الرؤيا: "وفي منتهاه، يصطفى الصفوة الأبرار ليكونوا شهود البر من غراس البر الأبدية". (٢)

وانظر أيها الباحث عن الحق كيف تحدث أخنوخ عن أربعة من أولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام،

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٢١٧.

(2) Otto Neugebauer, et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985), p. 86.

ثم ختم ذلك بحديث مطابق لحال أمة محمد ﷺ في الزمان والصفة،
ومحمد ﷺ هو الخامس من أولي العزم المذكورين في آيتي الأحزاب
والشورى، فكان في ذلك مزيد إشارة إلى المقصود.

فإن قال قائل: إن محمداً [ﷺ] لم يُنبأ في منتهى الأسبوع السابع
وإنما في المائة الخامسة منه.

قلنا: هذا من التعتت الواضح؛ فإن القرن الخامس في سبعة
قرون هو في المنتهى؛ ومع ذلك فإن النص لم يقل: "وفي منتهاه، يصطفى
إنسان" كما قال عن إبراهيم عليه السلام، وإنما جعل الاصطفاء لأمة بأسرها
فقال: "يصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية"، وها هي أمة
الإسلام لا تزال قائمة، بل إنه ما انقضى الأسبوع السابع (٩٠٠م)
حتى نشروا الإسلام في المشرق والمغرب.

وقد ضربتُ صفحاً عما بقي من النص لثلاثة أسباب ألمحت
إليها سلفاً؛ أولها: أن إلحاق تلك الفقرات بهذه الرؤيا هو موضع
خلاف بين علماء أهل الكتاب. ثانياً: يعتبر بعض العلماء تلك
الفقرات من قبيل ما يسمى «ما وراء التاريخ» الذي يصعب القطع
بمعانيه، وقد يعده البعض الآخر من الأساطير لا التاريخ، فاستفراغ

الجهد في تأويل ما أحسن أحواله الظن مع وجود القطعي ليس من
الحكمة في شيء. ثالثاً: وهو الأهم، أن تلك الفقرات لا تعيننا كثيراً
في هذا البحث، فليس من همتي أن أزيد على إثبات نبوة المصطفى ﷺ
وصدق رسالته، ففي هذا المبلغ صلاح الدنيا والآخرة لمن أراد اتباعه،
فأعني عما سواه.

«رؤيا إبراهيم» ﷺ

سفر «رؤيا إبراهيم» The Apocalypse of Abraham

هو أحد الأسفار المنحولة التي كتبت في القرن الأول الميلادي. ^(١) يقول «ريزارد روبنكفيتس»: "إن «رؤيا إبراهيم»، بأصلها الفلسطيني، وتاريخ كتابتها المبكر، وتراثها المشترك مع سفر أخنوخ الأول، وارتباطاتها بكتابات العهد الجديد؛ لتجد لنفسها مكاناً بين أهم الأعمال في العالم اليهودي في القرن الأول الميلادي." ^(٢)

وعلى الرغم من أن أكثر العلماء يذهب إلى أن أصل الرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية، إلا أن أقدم النسخ الموجودة بين أيدينا إنما كتبت باللغة السلافية القديمة.

تُستهل الرؤيا بالحديث عن إبراهيم ﷺ وهدايته واصطفائه من قوم يعبدون الأصنام، وتختتم بالحديث عن الرؤيا التي هي موضوع دراستنا. وعلماء أهل الكتاب يكادون يجمعون على تفسير الخطوط

(1) James H. Charlesworth. The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998), p. 32.

(2) The Anchor Bible Dictionary, "Abraham, Apocalypse of" vol. I, p. 43.

العريضة للرؤيا، لكن التفاصيل هي محل الخلاف، لا سيما ما يتعلق بأحداث الساعة الثانية عشرة في آخر الزمان، وسيأتي بيان ذلك من خلال تفسير النص.

نص الرؤيا وتفسيره:

رأى إبراهيم عليه السلام من بين ما رأى صورة قد سُطرت فيها أعمال العباد وما هم صانعون، وقد قُسم الخلق فيها إلى ميمنة وميسرة، فتساءل:

٢٢. أيها الأبدي القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين وُلدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُتب له الحكم والصلاح، وآخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صلبك، ودعوتهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

يسأل إبراهيم عليه السلام في هذه الفقرة ربه عما يراه من فئتين ماثلتين في الصورة إحداهما في الشمال والأخرى في اليمين. فيجيبه الله بأن التي

في الشمال هي كل البشر منذ بدء الخليقة إلى نهايتها. منهم من يكون من أهل السعادة ومنهم من يكون من أهل الشقاوة. أما الفئة التي في يمين الصورة فهم بنو إسرائيل الذين من نسل إبراهيم عليه السلام من جهة يعقوب عليه السلام، فهم «شعب الرب» كما يزعمون. ولا شك أن بني إسرائيل فُضِّلوا على غيرهم من أهل زمانهم.

يلحظ القارئ في النص تقسيم البشر إلى الشعب المختار وإلى غيرهم من الأمم. ولم أر من الشراح من خالف في أن المقصود هم "اليهود" و"غير اليهود". لكن الإشكال في وصف غير اليهود بالـ «وثنيين»، علماً أن الفقرة أعلاه تصرح بأن الذين في ناحية الشمال من الصورة منهم البر "من كتب له الحكم والصلاح"، ومنهم الفاجر الذي كتب عليه "الانتقام والمحق في آخر الزمان". وبما أن النص الأصلي للرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية فإن الكلمة المستعملة هي «جوييم» أو «عَمِّيَّا» على التوالي. وكلتا الكلمتين لا تعني أكثر من "الأمم"، وإنما اكتسبت معنى "وثنيين" لأن اليهود عَدُّوا كل من سواهم وثناً. لذا نجد بعض مترجمي الرؤيا يستعمل العبارة الإنجليزية (the nations) التي تعني «الأمم» وبعضهم يستعمل (the heathen) وتعني «الوثنيين» لإيصال المعنى المراد. وقد أثرت أن أستعمل في

ترجمتي كلمة «الأميين» لأكون أدق في ترجمة الأصل مع عدم إغفال الجانب العنصري في الكلمة.

"حتى بعض أولئك الذين من عزازيل". عزازيل يمثل الشيطان أو إبليس أو الجن عموماً. والمقصود في الفقرة - والله أعلم - أن بعض من كان في الصورة كانوا من الجن الذين هم من ولد إبليس، كما قال شيخ الإسلام "الشياطين هم مَرَدَّةُ الإنس والجن، وجميع الجن وَلَدُ إبليس والله أعلم"،^(١) وسيأتي لهذا مزيد بيان.

٢٥. ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذاك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبوح بين يدي الصنم.

أما «صنم الغيرة» أو «تمثال الغيرة» ("سيمل هَكَّانَه" في النص العبراني) فقد جاء ذكره في موضعين من سفر حزقيال عند حديثه عن تسلل عبادة الوثنيين إلى داخل الهيكل الثاني بعد السبي البابلي. يقول حزقيال:

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥ / ٧.

وَحَلَّقَ بِي رُوحٌ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَحْضَرَنِي فِي رُؤْيَى اللَّهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى مَدْخَلِ الْبَوَّابَةِ الشَّمَالِيَّةِ لِلْسَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ، حَيْثُ يَنْتَصِبُ التَّمْثَالُ الْمُثِيرُ لِلْغَيْرَةِ. فَإِذَا بِمَجْدِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ حَالٌ هُنَاكَ كَمَا كَانَ حَالًا فِي الرُّؤْيَا الَّتِي شَاهَدْتُهَا فِي السَّهْلِ. ثُمَّ خَاطَبَنِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، التَّفَتِ الْآنَ نَحْوَ الشَّمَالِ». فَالتَفَتُ وَإِذَا بِي أَرَى مِنْ شِمَالِي بَابَ الْمَذْبَحِ تَمَثَّلُ الْغَيْرَةُ هَذَا مُنْتَصِبًا فِي الْمَدْخَلِ. وَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ شَاهَدْتَ مَا يَرْتَكِبُونَ: هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ الْفَطِيْعَةُ الَّتِي يَقْتَرِفُهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ لِيُبْعِدُونِي عَنْ مَقْدِسِي؟ وَلَكِنْ أَنْتَظِرْ، فَلَا تَلْبُثُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْجَاسًا أَفْطَعُ». [حزقيال ٨: ٣-١٣]

وكان هذا الصنم يمثل إلهة الشمس «عشتار» التي هي من آلهة الحرائين؛ ولذا قال هنا: "كذاك الذي اعتاد أبي صنعه" يعني في بلاد العراق. أما الرجل الذي يقدم القرابين للصنم فهو «منسى» كما سيأتي.

فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القربان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسن الصنع والصورة، حسنه كذاك الذي تحت عرشك؟

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسنه، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهنوتاً لاسمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القرابين كما أمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلي، وأولئك شهود على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ...

فالبناء العظيم هو الهيكل الأول، أما الذي ينصب تمثال الغيرة - عشتار - في الهيكل فهو ملك اليهود «منسى» ويسير بسيرته ملوك آخرون من أمثال آمون ويهوياقيم ويهوياكين. وتفصيل هذه الفقرة من تدنيس الهيكل وتقديم الغلمان قرابين نجده في سفر الملوك الثاني:

وَأَزْتَكَبَ [مَنْسَى] الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، مُقْتَرِفًا رَجَاسَاتِ
الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَادَ وَشَيْدَ
مَعَابِدِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هَدَمَهَا آبُوهُ حَزَقِيَّا، وَأَقَامَ مَذَابِحَ الْبَعْلِ،
وَنَصَبَ تَمَاثِيلَ عَشْتَارُوثَ عَلَى غِرَارِ مَا صَنَعَ أَخَابٌ، وَسَجَدَ
لِكَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. وَبَنَى مَذَابِحَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ فِي
أُورُشَلِيمَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّبُّ: «فِي أُورُشَلِيمَ أَجْعَلُ اسْمِي» ...

وَأَجَازَ ابْنَهُ فِي النَّارِ، وَرَصَدَ الْأَوْقَاتَ وَلَجَأَ إِلَى أَصْحَابِ الْجَانِ
وَالْعَرَّافِينَ وَأَوْغَلَ فِي ارْتِكَابِ الشَّرِّ مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ غَضَبَ اللَّهِ
الرَّهِيْبَ. وَنَصَبَ تِمْنَالَ عَشْتَارُوثَ الَّذِي صَنَعَهُ، فِي الْهَيْكَلِ
الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ: «فِي هَذَا الْهَيْكَلِ، وَفِي
أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُمَا مِنَ الْأَرْضِ، الَّتِي وَهَبْتُهَا لِآبَائِهِمْ،
أَجْعَلْ اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ. فَإِذَا أَطَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كُلَّ مَا
أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَطَبَّقُوا الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا عَبْدِي مُوسَى،
فَإِنِّي لَنْ أَزْعِرَ أَقْدَامَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِآبَائِهِمْ».
لَكِنَّهُمْ عَصَوْا، بَلْ أَضَلَّهُمْ مَنْسَى فَارْتَكَبُوا مَا هُوَ أَفْبَحُ مِمَّا
تَرْتَكِبُهُ الْأُمَمُ الَّتِي طَرَدَهَا الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(١) ...
وَزَادَ مَنْسَى فَسْفَكَ دَمَ أَبْرِيَاءَ كَثِيرِينَ، حَتَّى مَلَأَ أُورُشَلِيمَ مِنْ
أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا.

فلما عتوا عما نهوا عنه خاطبهم الرب قائلاً:

لَأَنَّ مَنْسَى مَلِكَ يَهُوذَا اقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَوْبِقَاتِ، وَارْتَكَبَ

(١) في هذا النص إثبات أن حق بني إسرائيل في الأرض المقدسة لم يكن حقاً
مطلقاً، بل كان مشروطاً بإقامتهم دين الله، فلما حادوا عن منهج الله نزع منهم ذلك
الحق؛ وإنما يرث الأرض عباد الله الصالحون.

شُرُورًا أَشَدَّ فَطَاعَةً مِنْ شُرُورِ الْأُمُورِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ،
وَأَضَلَّ يَهُوذَا فَجَعَلَهُ يَأْتُمُّ بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِ، لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ
إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرًّا عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا، فَتَطْنُنُ
أُذُنَا كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ. وَسَأُوقِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ الْعِقَابَ الَّذِي
أَوْفَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَبِأَخَابَ وَنَسْلِهِ. وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ مِنَ
الْوُجُودِ كَمَا يُمَسَحُ الطَّبَقُ مِنَ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلَبُ عَلَى
وَجْهِهِ لِيَحْفَ. وَأَنْبِذُ بَقِيَّةَ شَعْبِي وَأَسْلَمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ،
فَيُضْبِحُونَ غَنِيمَةً وَأَسْرَى لَهُمْ.

وهذا ما تشير إليه الفقرة التالية من رؤيا إبراهيم (الطائفة):

٢٧. فنظرت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال
قوم فُجَّار فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من
قتلوا ومنهم من سَبَّوْا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل،
فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات.

فبسبب طغيان بني إسرائيل وعبادتهم آلهة الوثنيين، سلط الله
عليهم عدواً من ناحية الشمال (أي من غير بني إسرائيل) هم البابليون
الوثنيون بقيادة «بختنصر». وهنا يبدأ «زمن الفُجور» أي تسلط الكفرة

على بني إسرائيل عام ٥٦٨ ق.م كما سيأتي بيانه. وقد جاء وصف ما صنعه البابليون من استحلال الهيكل ونهب مقدساته وحرقة في سفر الملوك الثاني:

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ
مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ نُبُوخَذَنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ نُبُوَزَرَادَانُ
قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَحْرَقَ الْهَيْكَلَ
وَقَصَرَ الْمَلِكِ وَسَائِرَ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ.
وَهَدَمَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّتِي تَحْتَ إِمْرَةِ رَئِيسِ الْحَرَسِ
الْمَلِكِيِّ جَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، وَسَبَى نُبُوَزَرَادَانُ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ
الَّذِي بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ، وَهَارِبِينَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ
وَسِوَاهُمْ مِنَ السُّكَّانِ... وَحَطَمَ الْكِلْدَانِيُّونَ أَعْمَدَةَ النُّحَاسِ
وَبِرْكَةَ النُّحَاسِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ، وَنَقَلُوا نُحَاسَهَا إِلَى بَابِلَ.
وَاسْتَوَلَوْا أَيْضاً عَلَى الْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالْمَقَاصِّ وَالصُّحُونِ
وَجَمِيعِ آيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَكَذَلِكَ
الْمَجَامِيرِ وَالْمَنَاضِحِ. كُلُّ مَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ ذَهَبٍ أَخَذَهُ قَائِدُ
الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ كَذَهَبٍ، وَمَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ فِضَّةٍ كَفِضَّةٍ...
وَهَكَذَا سَبَى شَعْبُ يَهُوذَا مِنْ أَرْضِهِ.

فقلت: أيها الأبدي، هو ذا الشعب الذي يخرج من نسلي وقد رضيتَ عنه ينهبه الفجار، فمنهم من قُتل ومنهم من سُبي ليكون عبداً، والهيكل قد أحرقوه بالنار، وما فيه من حسنٍ سرقوه ودمروه. إن كان هذا سيكون، فلم صدّعت قلبي؟ فقال لي: "ما رأيته سيكون بسبب ذريتك، أولئك الذي يغضبونني بتمثال الصنم الذي رأيت، وبسبب القربان البشري في الصورة، وبغيرتهم في فعل الشر ومكرهم في الهيكل، فكما رأيت سيكون."

هنا يسأل إبراهيم عليه السلام الرب أن يريه ما يخفف به حزنه مما يصيب ذريته بسبب ما أحدثوه من عبادة للأوثان، فيسأل عن أهل الإيمان الذين يأتمرون بأمر الله ويتنهون بنهيه.

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتصرف الآن أعمال الشر هذه التي عُمِلت كُفراً، ولكن أرني الذين ائتمروا بوصاياك، بأعمال البر، فإنك على ذلك قادر."

فقال لي: "إن أيام البر تُرى أنماطاً بحياة أولئك الحكام الأبرار الذين سيقومون، الذين خلقتهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن اعلم أنه سيقوم منهم آخرون لا يهمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين أريتكمهم."

٢٨ . فأجبت قائلاً: "أيها القادر تقدس سلطانك! هبني سؤلي وأرني، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أريتنيه زمناً طويلاً؟".

فأراني حشداً من شعبه وقال لي: "بسبيهم، في منازل أربع كما رأيت سأعْتَظ منهم، وفيها سيحق عليهم عقابي. وفي المنزلة الرابعة لمائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأُمَمين، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأُمَمين".

هذه الفقرة أشكلت على كثير من الشراح بسبب اختلافهم في ترجمة الكلمة السلافية (schody). فذهب البعض إلى أن معناها "الجموع" كما صنع «كوليك»^(١)؛ وآخرون آثروا ترجمتها بالـ "الأجيال"، وفريق ثالث زعموا أن المراد بها الـ "مداخل".^(٢) لكن أحداً لا يخالف أن معنى الكلمة الأصلي هو "درجة" أو "منزلة".

لكننا إذا أمعنا النظر في الفقرة نجد أن كلمة (schody) تأتي

(1) Alexander Kulik. Retroverting Slavonic Pseudepigrapha (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004), p. 30.

(2) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918), p 76.

لتعبر عن مرحلة زمنية، وهذا يستبعد ترجمة «كوليك» "وفي الجمع الرابع هناك مائة عام" لأنها لا تناسب السياق ولا تحمل معنى مفيداً. وأما ترجمة «بوكس» "في أجيال أربعة" فإنها، على الرغم من احتمالها، ليست دقيقة.

والصواب - والله أعلم - أن النص يصور المدة التي بين السبي البابلي، الذي هو بداية زمن الفجور، إلى زمن الرحمة والعز على هيئة "درجات" أربع نزولاً (descents)، كل خطوة تتألف من مائة عام. وفي الدرجة الرابعة، أو المائة الرابعة، من الأسر البابلي سيصاب بنو إسرائيل بنكبة - أو "شر" كما في بعض الترجمات - بين الأميين (الوثنيين)، وسيستمر هذا لساعة من الدهر أو مائة عام. ونحن إذا نزلنا من السبي البابلي ٥٨٦-٥٣٩ ق.م أربع درجات فإننا سنصل إلى ما بين ١٨٦-١٣٩ ق.م فما هي "النكبة" التي أصابت اليهود في هذه المرحلة؟

في ١٧٥ ق.م جلس الطاغية السلوقي «أنطيوخس إيفانيس الرابع» على عرش الإمبراطورية السلوقية. وكان منهمكاً في حروبه مع المصريين. لكنه لما عاد ذات مرة، بعد أن أشيع أنه مات في إحدى المعارك، أخبر بمحاولة انقلاب قام بها كبير كهنة اليهود الأسبق

«ياسون» الذي كان «أنطيوخس» قد عزله وعين مكانه «منلاوس»، فكانت النكبة على اليهود. يحدثنا سفر المكابيين الثاني قائلاً:

فلما بلغت الملك هذه الحوادث، اتهم اليهود بالانتقاض عليه؛ فزحف من مصر وقد تنمر في قلبه وأخذ المدينة [القدس] عنوة، وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة، ويذبحوا المختبئين في البيوت. فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ، ويبيدون الرجال والنساء والأولاد، ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام، منهم أربعون ألفاً، في المعركة، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتل. ولم يكتف بذلك، بل اجتراً ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها، وكان دليله منلاوس الخائن للشرعية والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين، مع ما أهدته ملوك الأجانب لزيينة الموضع وبهائه وكرامته، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى ... وحمل أنطيوخس من الهيكل ألفاً وثمان مئة قنطار، وبادر الرجوع إلى إنطاكية، وقد خيل إليه كبريائه وتشامخ نفسه أنه يقطع البر بالسفن والبحر بالقدم! وترك عمالاً يرغامون الأمة، منهم فيلبس في أورشليم

وهو فريجي الأصل، وكان أشرس أخلاقاً من الذي نصبه،
 وأندرونكس في جرزيم، وأيضاً منلاوس الذي كان أشد
 جوراً على الرعية من كليهما. ثم حملة ما كان عليه من المقت
 لرعايا اليهود، على أن أرسل أبلونيوس الرئيس البغيض في
 اثنين وعشرين ألف جندي، وأمره أن يذبح كل بالغ منهم
 ويبيع النساء والصبيان. فلما وفد إلى أورشليم أظهر السلام،
 وتربص إلى يوم السبت المقدس، حتى إذا دخل اليهود في
 عطلتهم، أمر أصحابه بأن يتسلحوا، وذبح جميع الخارجين
 للتفرج، ثم اقتحم المدينة بالسلاح، وأهلك خلقاً كثيراً. [٢
 مكابيين ٥].

ثم يتحدث الإصحاح التالي عن محاولة «أنطيوخس» طمس
 معالم اليهودية فيقول:

وبعد ذلك يبسير أرسل الملك شيخاً أثينياً، ليضطر اليهود أن
 يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله، وليدنس هيكل
 أورشليم ويجعله على اسم [الإله اليوناني] زوس (Zeus) ...
 وامتلاً الهيكل عُهرًا وقصوفاً ... وكان المذبح مغطى بالمحارم
 التي نهت الشريعة عنها. ولم يكن لأحد أن يعيد السبت، ولا

يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودي أصلاً. وكانوا كل شهر، يوم مولد الملك، يساقون قسراً للتضحية، وفي عيد [الإله اليوناني] ديونيسيسوس (Dionysius) يضطرون إلى الطواف إجلالاً له، وعليهم أكاليل من اللبلاب. وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالملة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك وبالتضحية، وأن من أبى أن يتخذ السنن اليونانية يُقتل، فذاقوا بذلك أمر البلاء. [٢ مكابيين ٦].

وإنما أوردت هذه الاقتباسات الطويلة نسبياً لبيان أن هذه "النكبة" التي أصابت اليهود في زمن الإمبراطور «أنطيوخس» لم تكن أمراً هيناً، بل هي جديرة بأن تكون النكبة المشار إليها في رؤيا إبراهيم التي نحن بصدها. فهي تزيد عن السبي البابلي في إكراه الناس على ترك دينهم واعتناق دين اليونان الوثنيين.

غير أن الرؤيا تشير إلى أن هذه النكبة ستنتضي وسيعقبها مجد لليهود لساعة من الزمن، أي مائة عام كما مر بنا. يقول النص: "سيكونون في نكبة بين الأممين، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأممين." وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تلك النكبة على يد الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» قام المكابيون اليهود بثورتهم

ضد الإمبراطورية السلوقية، وأسسوا دولة الحشمونيين K واستقل اليهود في فلسطين من عام ١٦٥ ق.م إلى عام ٦٣ ق.م، أي ١٠٢ عام (ساعة من الدهر). وهذه هي الساعة التي عبّر عنها النص بقوله "ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأُميين".

انقضت ساعة الرحمة والعز في عام ٦٣ ق.م عندما غزت دولة الحشمونيين من قبل الروم، فتفككت ثم أصبحت تابعة للروم ولم تقم لليهود بعدُ قائمة، حتى الهيروديون اليهودُ العملاءُ حكموا فلسطين تبعاً للروم لا استقلالاً. وهكذا استؤنف زمن الفجور بعد أن عز اليهود ساعةً من الدهر. فتساءل إبراهيم عليه السلام:

٢٩ . فقلت: أيها الأبدي! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأُميين وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

فزمن الفجور الذي بدأ بالسبي البابلي سيستمر اثنتي عشرة ساعة (أي ١٢٠٠ عام) قبل أن يأتي الخلاص. هنا يخاطب الرب إبراهيم ليتنبه إلى القادم ففيه الفرج الذي كان ينتظره. قال له الرب:

والآن احسب وافهم وانظر في الصورة ثانية!

[يقول إبراهيم:] فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشمال ناحية الأعميين. وخرج رجال ونساء وأطفال من ناحية الأعميين، جموع غفيرة، وعبدته [أو "بجلته"].

إن هذا النص بحاجة إلى تأمل. فقد ذهب الكثرة الكثيرة من علماء أهل الكتاب إلى أنه وما بعده من إقحام النصارى وليس من أصل الرؤيا. يقول «روبرت هول» في دراسة له بعنوان «الإقحامات النصرانية في رؤيا إبراهيم عليه السلام»: "منذ اكتشاف «رؤيا إبراهيم» ودارسوها يُخرجون كل الفقرات ٢٩: ٣-١١ باعتبارها تعليقاً نصرانياً."^(١)

والسبب الداعي إلى فرضية الإقحام هذه ما ورد في وصف الرجل المخلص في الفقرة من أنه سيعبد من قبل كثير، وأنه سيؤذى من قبل اليهود (الذين من ناحية اليمين). لكن المحك الذي يحيد عنه شراح الرؤيا هو أن الرجل المخلص يخرج من غير اليهود، من ناحية الشمال كما يصرح النص. لهذا علق «بوكس» على الفقرة بقوله "واضح

(1) Robert G. Hall. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988), vol. 107, No. 1, pp. 107-110.

أن الرجل يراد به يسوع [عيسى عليه السلام]. لكن ظهوره "عن شمال الأعميين" مثير للاستغراب!"^(١)

وأقول لـ «بوكس» ومن ذهب مذهبه: القول بأن المقصود من هذه الفقرة «يسوع المسيح» باطل؛ لأن عيسى عليه السلام لم يكن من الأعميين بل كان من بني إسرائيل باتفاق الملل. ولو أنكم حين استنكرتم خروجه من بين الأعميين بحثم في غير بني إسرائيل لوجدتم، ولكان أقرب للإنصاف. وهأنذا أقول لكم من هو هذا الرجل الذي لم يمنعكم من ذكر اسمه إلا كتمان الحق كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]. إن هذا المخلص هو خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورحمة الله للعالمين، محمد ﷺ؛ وهاكم الأدلة على ذلك:

أولاً: لما سأل إبراهيم ربه عن مدة ساعات البلاء وزمن الفجور، أجابه الرب: "اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأعميين وعلى ذريتك." وزمن الفجور كما بينا يبدأ من تسلط البابليين على بني إسرائيل وإحراق المسجد الأقصى (الهيكل الأول) عام ٥٨٦ ق.م والساعة في هذه الرؤيا تعبر عن ١٠٠ عام كما

(1) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham, p 78.

تفسره الرؤيا نفسها. فإن أردنا أن نعلم زمن ظهور هذا الرجل المخلص فما علينا إلا أن نحسب ألفاً ومائتي عام (١٢٠٠ = اثنتا عشرة ساعة) من تاريخ بدء زمن الفجور؛ حينها سنجد أنفسنا تماماً عند عام ٦١٤م! والدنيا كلها تعلم أن بعثة المصطفى ﷺ كانت عام ٦١٠م أو ٦١١م بعد أربعين عاماً من مولده المبارك (٥٧٠م أو ٥٧١م)، وهذا الفرق اليسير جداً بين التاريخين مرده إلى أن الرؤيا توظف الساعات (القرون) لحساب الزمن مما تتعذر معه الدقة، ولا أحسب أحداً يباري في هذا إلا أن يكون مكابراً. وأين هذا من بعثة عيسى عليه السلام التي كانت قبل ذلك بستمئة عام؟

ثانياً: يظهر من الأحداث التي تستعرضها الرؤيا التركيز على النكبات التي أصابت بني إسرائيل في أثناء زمن الفجور؛ فكان من المنطق أن يكون المخلص لهم قادراً على نصرتهم وإلا لم يكن «فَرَجاً» كما تصفه الرؤيا. وعيسى عليه السلام لما دعا بني إسرائيل إلى الله آمن به طائفة وكفرت طائفة، لكنه ما كان يملك من الشوكة ما يتصدى به لطغيان الروم وأعوانهم من اليهود الكفرة الذين حاولوا قتله فأنجاه الله منهم. وأما محمد ﷺ فزعزعه الله به عروش الأكاسرة والقيصرة كما شهد بذلك أعداؤه قبل أتباعه. قال ابن كثير في تفسير قول تعالى: ﴿فَتَأْتِيَنَّ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤]:

أي: لما بلغ عيسى بن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأُمُّه بالعظائم، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فِرْقاً وَشِيعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله؛ وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس؛ ومن قائل: إنه الله ... وقوله: ﴿فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوتِهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فِرَقِ النصارى، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وآله. (١)

فمحمد صلى الله عليه وآله هو الذي أنقذ الله به أهل الأرض من كفر الكافرين وبطش الجبارين حتى صار أهل الإيَّان فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

ثالثاً: عيسى عليه السلام - بزعم النصارى - لم يخلص البشر إلا باعتباره إلهاً أو ابناً لله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يناسب وصفه بالرجل كما في هذه الرويا.

(١) تفسير ابن كثير، ٨ / ٨٦.

رابعاً: لم يكن المسيح ﷺ من "الأميين" بل من بني إسرائيل. والرؤيا تصرح بخروج هذا الرجل من بين الأميين بل تؤكد أكثر من مرة. فتقول في أوله "يخرج عن شمال الأميين"، ثم تؤكد بوصفها له بـ "الفرَج" الذي يهبه الأميون للشعب الذي يكون من نسلك". فتحدد مخرج المخلص من الأميين ليس من سهو الكاتب، بل هو مما يعضد ما ذهبنا إليه من تحديد زمانه، وهنا تحديد جهته.

أخيراً: لفظ "عبدوه" في النص لا يعني العبادة الحقيقية وإنما التبجيل وتعلق القلب. يدل على ذلك ترجمة «كوليك» النقدية التي نقلت النص هكذا: "ومن رأيهم يخرجون من ناحية الشمال من الصورة وأولئك الذين يعبدونه، معناه: أن كثيراً من الأميين سيعلقون به آمالهم." فلا حجة فيه إذن على أن المراد عيسى ﷺ.

بقي أمر مهم وهو أن عدداً من علماء أهل الكتاب أنكر أن يكون النص مقحماً من قبل النصاري. يقول أحد مترجمي الرؤيا إلى الإنجليزية «ريزارد روبنكفيتس» في المقال الذي كتبه لـ «قاموس أنكور الكتابي» بعنوان "رؤيا إبراهيم":

إن رؤيا إبراهيم ٢٩: ٤-١٣ تبرز مشكلة من نوع خاص. فالمرء عادة يفترض أن الرجل الذي "يخرج من الشمال، ناحية الأعميين" ... يمثل شخصية يسوع. لذا زعم بعض النقاد أن هذه الفقرة من إقحام النصارى، أو لعلها "نظرة يهودية ليسوع باعتباره رسولاً إلى الأعميين" (EncJud ١٢٥: ١-٢٧). لكن التحليل الدقيق للرؤيا يدل على أصالتها وأنها "لا تتعلق بنظرة النصارى ليسوع، بل تستدعي «الوحش» في رؤيا يوحنا ١٣: ١-٤" (Hall ١٩٨٨). الرجل الأعمى يمكن أن يمثل الإمبراطور الرومي.^(١)

وكلام «روبنكيفيتس» هذا تعرف منه وتذكر. فزعمه أن الرجل الأعمى يُذكرنا بالوحش في رؤيا يوحنا أو أنه الإمبراطور الرومي، بعيد كل البعد؛ لأن الرؤيا صريحة في أن هذا الرجل سيكون مبعثه فرجاً لأهل الأرض لا مصدراً لاضطهادهم وقمعهم.

أما قوله بأصالة النص، فإن كان المقصود منه أن ينفي كون النص مقحماً بأكمله من قبل النصارى فهو كلام يؤيده فيه غيره من العلماء من أمثال «روبرت هول» وغيره، وهو كلام معقول، إذ لا حجة

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

لمن زعموا أنه مقحم إلا عجزهم عن تفسير النص بشكل يستقيم مع السياق. وما ذكرته أعلاه من مناسبتة لحال محمد ﷺ ينفي هذا الزعم الذي لا يقوم على دليل. وأما التحريف الجزئي للنص فممكناً كما سأبينه بعد قليل.

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجَلَّوه.

هذا موقف اليهود من المبشر به في الرؤيا: فإن منهم من عاداه وهم الكثرة الكاثرة، ومنهم من بجَّله وأطاعه وهم قلة جداً.

من أمثلة الفريق الأول ما جاء في قصة صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - أنها قالت: كنتُ أحبُّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم أَلَقْهُمَا قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلَمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييُّ ابن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلَّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالأين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا

ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم! قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت. ^(١)

بل تجاوز الأمر مجرد العداء إلى محاولة قتل المصطفى ﷺ كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودٍ! فَجُمِعُوا لَهُ... ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُماً؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ. قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ. ^(٢)

وقد بقي أثر هذا السم إلى أن مات صلوات الله وسلامه عليه كما في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ مَا أَرَأَى أَجْدُ أَلَمْ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرٍ فَهَذَا أَوْ أُنْ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ." ^(٣)

(١) سيرة ابن هشام، ٥١٩/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، حديث رقم ٢٩٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

كما حاول بنو النضير من اليهود اغتيال النبي ﷺ فأعلمه جبريل ﷺ وكان ذلك سبباً في جلائهم.

أما شتمهم آياه ﷺ فمعلوم؛ من ذلك ما ذكره ابن إسحاق من أنه لما سار علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة ودنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.^(١)

وقد كانوا يشتمونه في أشعارهم كما صنع كعب بن الأشرف، وكانوا إذا سلموا عليه قالوا: "السام عليكم"^(٢)، والسام هو الموت، وإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا! ورَّوا فقالوا: "راعنا" من الرعونة،^(٣) وغيره كثير.

أما الفريق الثاني - أعني من صدَّق برسالته ﷺ واتبعه - فخير مثال عليه قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ؓ كما رواها

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٦٨٣؛ وصحيح مسلم، كتاب السلام، حديث رقم ٢١٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٢٥.

البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال:

"بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَاتَّاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَأَيْلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَحْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جَبْرِيلُ. قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ؛ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِدِ حُبٍ؛ وَأَمَّا الشَّيْبَةُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّيْبَةُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّيْبَةُ لَهَا. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَّتْ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهْتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخِيرُنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ. ^(١)

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٥١.

ومن مشاهير من أسلم من اليهود السموأل بن يحيى المغربي صاحب كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود»، وسعيد بن الحسن الإسكندراني صاحب كتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر ﷺ».

فهذا موقف اليهود من رسالة خاتم النبيين؛ منهم من عاداه وشتمه بل حاول قتله، وقليلون بجّلوه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

وبينما كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه ووقف خلفه.

تُقسم «الموسوعة اليهودية» الشياطين إلى قسمين: «سَعِيرِيم» و«شِيدِيم»، ثم تُعرّف الـ «سَعِيرِيم» بأنهم "مطابقون للجن الموجودين في غابات الجزيرة العربية وصحاريها... وإلى هذه الفئة ينتمي عزازيل." ^(١) يؤيد هذا ما رجحه «قاموس آنكور الكتابي» من أن "فهم «عزازيل» على أنه لقبٌ لشخصية شيطانية هو أكثر الآراء معقولة." ^(٢)

(1) Jewish Encyclopedia (1906), p. "Demonology".

(2) The Anchor Bible Dictionary, "Azazel" vol. I, 536.

وهناك الكثير ممن يرجح أنه إبليس ذاته. ^(١)

وهذه الأفهام قريبة مما يعتقده المسلمون في إبليس، فهو من الجن كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]. أما كونه أصل الجن فقد وردت به آثار عن السلف؛ قال ابن جرير في تفسيره: "... عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس." ^(٢) وقد صحح إسناده ابن كثير في تفسيره. ^(٣)

فالحديث عن عزازيل إذن هو حديث عن الجن، وتقبيله النبي الذي يُبعث في آخر الزمان ووقوفه وراءه كناية عن قبول الجن لدعوته. ويكفي في بيان هذا قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ^(١٩) قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ

(١) انظر على سبيل المثال:

Louis Herbert Gray. *Mythology of All Races*, 1931, p. 532.

Rosemary Guiley. *Encyclopedia of Angels*, 2004, p. 61.

Rabbi Leo Jung. *Fallen Angels in Jewish, Christian and Mohammedan Literature*, 2003, p. 61.

(٢) تفسير الطبري، ١/ ٢٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٧.

مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَفْقَهُونَ آيَاتِنَا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِمَكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿[الأحقاف: ٢٩-٣٢]﴾.

كما فصل الله كلام الجن في سورة سميت باسمهم فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ١-٣] إلى أن قال جل شأنه على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ". قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ".^(١)

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٢٨١٤.

وقد خلط علماء أهل الكتاب أيها خلط في تفسير مساندة عزازيل للنبي الموعود في هذه الفقرة، حتى إن بعضهم ظن أنه المسيح الدجال، أو دجال من الدجاجلة على الأقل. وسبب هذا عدم اعترافهم بنبوته محمد ﷺ، وإلا لما صعب عليهم فهم المراد.

ثم تشرع الرؤيا في تفسير ما رآه إبراهيم عليه السلام من شأن الرجل الموعود به بعد سؤاله عن حاله:

فقلت: أيها الأبدى! من الرجل الذي سُتم وضرب، ويجله الأعميون وقبّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل الذي رأيتهُ يُسْتَم ويضرب لكن يبجله الكثير هو «الفرج» الذي يهبه الأعميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من زمن الفجور".

فهو النبي الذي جعله الله رحمة للخلق، وكان أكثر أتباعه من غير اليهود، فإنه لم يسلم منهم إلا القليل؛ وكان مولده في السنة السادسة والخمسين بعد المائة والألف (١١٥٦) من تاريخ السبي البابلي، بداية زمن الفجور؛ وكان مبعثه في السنة السادسة والتسعين بعد المائة والألف (١١٩٦) من ذلك التاريخ. فميلاده ومبعثه في الساعة الثانية

عشرة (القرن الثاني عشر) من زمن الفجور؛ فهل بقي لأحد أن يرتاب في أنه سيد ولد آدم محمد ﷺ؟

لكن الرؤيا تضيف نصاً مريباً فتقول:

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زماني الأخير، سأقيم هذا الرجل من جيلك، الذي رأيت يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسي فسيلتحقون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

إن كان ثمة فقرة في هذه البشارة لم تسلم من التحريف فهي هذه. دليل ذلك أنه بعد التصريح الجلي بأن المخلص يكون من الأميين، وأنه هبة الأميين لغيرهم؛ عاد ليقول إنه "يخرج من شعبي" يعني اليهود أو بني إسرائيل. وهذا تعارض ظاهر. لهذا علق «ريزارد روبنكفيتس» على الفقرة بقوله (نقلًا عن «هول»): "لا بد وأن تؤخذ باعتبارها تفسيراً مقحماً من أحد النصاري." ^(١) ولا شك أنها محاولة لصرف البشارة عن محمد ﷺ العربي إلى عيسى عليه السلام الذي هو من بني إسرائيل.

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيتهم من ذريتك على يمين الصورة ممن شتموه وضربوه، فكثيرون يتأذون به، لكن البعض سيبجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في الساعة الثانية عشرة في المنتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

ولا شك أن اليهود تأذوا عندما تيقنوا أن نبي آخر الزمان من العرب الأميين وليس منهم. وقد سبق الحديث عن شأنهم معه ﷺ.

ختاماً بعد أن فسرتُ الرؤيا وفقاً لما أرى أنه الصواب، ها أنا أورد نصها دون تجزئة حتى يستوعب القارئ الفقرات في سياقها.

وقلت: "أيها الأبدي القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟"

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين وُلدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُتب له الحكم والصلاح، وآخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صُلبك، ودعوتهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذاك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبح بين يدي الصنم. فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القربان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسن الصنع والصورة، حسنه كذاك الذي تحت عرشك؟"

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسنه، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهناً لا سمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القرابين كما أمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلي، وأولئك شهود على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ..".

فنزطت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال قوم فجَّار فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من قتلوا ومنهم من سبوا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل، فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات. فقلت: "أيها

الأبدي، هو ذا الشعب الذي يخرج من نسلي وقد رضيت عنه ينهبه
الفجار، فمنهم من قُتل ومنهم من سُبي ليكون عبداً، والهيكل قد
أحرقوه بالنار، وما فيه من حسنٍ سرقوه ودمروه. إن كان هذا سيكون،
فلم صدعت قلبي؟

فقال لي: "ما رأيته سيكون بسبب ذريتك، أولئك الذي
يغضبونني بتمثال الصنم الذي رأيته، وبسبب القربان البشري في
الصورة، وبغيرتهم في فعل الشر ومكرهم في الهيكل، فكما رأيته
سيكون."

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتصرف الآن أعمال الشر هذه التي
عُملت كُفراً، ولكن أرني الذين ائتمروا بوصاياك، بأعمال البر، فإنك
على ذلك قادر."

فقال لي: "إن أيام البر ترى أنماطاً بحياة أولئك الحكام الأبرار
الذين سيقومون، الذين خلقتهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن اعلم
أنه سيقوم منهم آخرون لا يهمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين
أريتهمهم."

فأجبت قائلاً: "أيها القادر! تقدس سلطانك! هبني سؤلي

وأرني، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أريتنيه زمناً طويلاً؟"

فأراني حشداً من شعبه وقال لي: "بسببهم، في منازل أربع كما رأيت سأغتاظ منهم، وفيها سيحق عليهم عقابي. وفي المنزل الرابعة لمائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأيمن، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأيمن.

فقلت: أيها الأبدي! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: اثنتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأيمن وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

والآن احسب وافهم وانظر في الصورة ثانية!

فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشمال ناحية الأيمن. وخرج رجال ونساء وأطفال من ناحية الأيمن، جموع غفيرة، وعبدته (أو بجلته).

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجلوه. وبينما كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه ووقف خلفه.

فقلت: "أيها الأبدي! من الرَّجُل الذي شُتم وُضرب، وبجله
الأميون وقبّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل
الذي رأيته يُشتم ويضرب لكن يبجله الكثير هو «الفَرَج» الذي يهبه
الأميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة
الثانية عشرة من زمن الفجور.

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زمني الأخير، سأقيم هذا
الرجل من جيلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح
مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسهم فسيلتحقون بالآخرين،
أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة
فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيتهم من
ذريتك على يمين الصورة ممن شتموه وضربوه، فكثيرون يتأذون به،
لكن البعض سيبجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في
الساعة الثانية عشرة في المنتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

«عهد موسى» ﷺ

«عهد موسى» ﷺ The Testament of Moses اسم

لأحد الأسفار المنحولة، ولا نعرفه إلا من مخطوطته اللاتينية الوحيدة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي. لكن المخطوطة اللاتينية لا تعد أصلاً لهذا السفر، بل هي مترجمة عن نسخة سابقة يرجح أنها يونانية. يقول «جون بريست»:

من الواضح أن النص اللاتيني ترجمة لوثيقة يونانية قد تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي أو بداية القرن الثاني. وقد افترض أغلب محققي النص الأولين أن اليونانية هي لغته الأصلية، لكن المجمع عليه الآن هو أن النص اليوناني الذي كان بين يدي المترجم اللاتيني هو ذاته ترجمة لنص سامي. يبقى الخلاف فيما إذا كان النص السامي آرامياً أم عبرانياً، لكن الأخير أكثر احتمالاً⁽¹⁾.

ثم يضيف: "إن جل ما يثبت البحث الحالي هو أن النص الموجود لعهد موسى ينبغي أن يؤرخ بين السنة الرابعة قبل الميلاد وربما السنة

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Moses, Testament of".

الثلاثين بعد الميلاد.^(١) وإذا كان النص اللاتيني المترجم عن اليونانية يعود إلى القرن الأول الميلادي، فإن الأصل العبراني أو الآرامي بلا ريب أقدم، وبناء عليه فإننا أمام وثيقة سابقة لظهور الإسلام بستمائة عام على الأقل.

النص وتفسيره:

يتحدث هذا السفر عن عهدٍ عهدٍ به موسى عليه السلام قبيل وفاته إلى غلامه يوشع بن نون عليه السلام الذي صار نبياً بعده، وهو عهد يسرد تاريخ وقد اعتمدت ترجمة «تشارلز» الإنجليزية وترجمة موسى ديب الخوري العربية. وسأتجاوز ما لا يعنينا في هذا السفر وأنتقل إلى المقصود حرصاً على الإيجاز.

يتحدث الفصل الثاني من هذا العهد عن تاريخ أسباط بني إسرائيل، ثم ينتهي بالحديث عن ضلال بني إسرائيل وتعلقهم بآلهة الأمم الوثنية قائلاً: "وسيقدمون أبناءهم قرابين لآلهة غريبة، وسينصبون الأصنام في الحرم ليعبدوها، وفي بيت الرب يصنعون الفجور، وينحتون كل أشكال البهائم، بل يأتون أموراً عظماً."

(١) مرجع سابق.

وقد تقدم الحديث عن عبادة بني إسرائيل لآلهة الكنعانيين وغيرهم من الوثنيين، وأن ذلك كان سبباً في سخط الله عليهم فسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب من البابليين بقيادة بختنصر. وهذا ما يتحدث عنه الفصل الثالث: "وفي تلك الأيام يأتي ملك من الشرق ضدهم، وستغطي فرسانه أرضهم، وسيحرق مستعمرتهم بالنار مع الهيكل المقدس للرب، وسينهب الآنية المقدسة كلها..."

فالملك الذي يأتي من المشرق هو «بختنصر» البابلي، وقد فصلت الحديث في تدنيسه الهيكل الأول وحرقه إياه عند شرح «رؤيا أخنوخ» مما أغنى عن إعادته. ويلحظ القارئ أن السبي البابلي عام ٥٦٨ ق.م كان بالنسبة لليهود حدثاً عظيماً يؤرخ به كثيراً، كما جعل بداية لـ "زمن الفجور" في «رؤيا إبراهيم» كما رأينا.

يستهل الفصل الرابع حديثه عن «دانيال» النبي ﷺ الذي يجثو على ركبتيه سائلاً الله ﷻ أن يرفع عن بني إسرائيل ما حل بهم من بأس، فيستجيب الله دعاءه "عندها سيتذكروهم الرب بسبب الميثاق الذي عقده مع آبائهم، وسيظهر رحمته. وفي هذا الوقت سيُلهم أيضاً أحد الملوك ليشفق عليهم فيعيدهم إلى ديارهم، إلى بلدهم. عندها ستنهض بعض أقسام الأسباط وترجع إلى مكانها المحدد، وسيعيدون

بناء الأسوار.

المراد بـ "أحد الملوك" هنا هو الملك الفارسي «كورش» أو «قورش» الذي انتصر على البابليين وأعاد اليهود إلى فلسطين، وهناك أعيد بناء الهيكل وأصبح يعرف بـ «الهيكل الثاني».

لكن بني إسرائيل عادوا إلى ما نهوا عنه من عبادة آلهة الوثنيين فسلط الله عليهم قوماً آخرين يسومونهم سوء العذاب، حكام الدولة السلوقية التي سبق الحديث عنها. وقد أعرضت عن الفصلين السادس والسابع لأنهما لا يثبتان على رأي جمهور علماء أهل الكتاب.

كان من أعتى ملوك الدولة السلوقية «أنطيوخس الرابع» الذي يصفه الفصل الثامن بقوله: "وسيحل عليهم [يعني اليهود] عقاب ثانٍ وغضب لم يجربوه أبداً منذ البدء وحتى هذا الزمان، حيث سيحرض ضدهم ملك ملوك الأرض، والقوي بين الأقوياء، والذي سيصلب الذين يعترفون بختانهم. والذين ينكرونه سينكل بهم وسيرمي بهم مكبلين في السجن. وستوهب نساؤهم لآلهة الأمم. وسيعالج أطفالهم أطباء أطفال سيعيدون لهم القلب. وآخرون من بينهم سيعاقبون بالتنكيل بهم بالنار والحديد، وسيجبرون على حمل الأصنام أمام

الشعب نجسين مثل الذين يحرسونها ...".

يقول «تشارلز» في تعليقه على هذا الفصل: "إن العقاب الثاني دقيق جداً في وصف اضطهاد «أنطيوخس إبيفانيس» بشكل لا يحتمل إشارته إلى قارعة أخرى." ^(١) وقد نقلت من قبل اقتباسات طويلة في بيان هذه النكبة التي أصابت اليهود في عهد هذا الملك الطاغية. وتحدثت هناك عن قيام سلالة الحشمونيين التي نجحت في تطهير الهيكل قرناً من الزمان. وهذا ما نقرأه هنا أيضاً في الفصل التاسع.

"عندها، في هذا اليوم، سيكون هناك رجل من سبط لاوي باسم «تاكسو»، له سبعة أبناء، وسيعظمهم بهذه الكلمات: انظروا يا أبنائي، إن عقاباً يصيب الشعب، عقاب ثانٍ عنيف ونجس، عقاب مكرر عن الأول بلا شفقة وأقسى منه. لأنه أي أمة أو أي بلد أو أي شعب كافر في نظر الرب، والمذنب بأثام كثيرة، قد عانى من هذا القدر نفسه من الشرور التي وقعت لنا؟ والآن يا أبنائي، استمعوا إلي، وانظروا ولا حظوا أن آباءنا ولا أسلافهم لم يعارضوا الله أبداً بخرق وصاياه.

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004) vol. II, p. 420.

وأنتم تعلمون أن هذه هي قوتنا. فهاكم ما سنفعله: لنصم ثلاثة أيام، ولنمض في اليوم الرابع إلى مغارة في الحقل، ولنمت بالأحرى بدلاً من أن نخرق وصايا رب الأرباب، إله آبائنا. لأننا إذا عملنا ذلك ومتنا فإنه سيتقم لدمنا أمام وجه الرب."

لكن السفر ينتقل بنا إلى نهاية الزمان، علماً أن دولة الحشوميين قامت وانتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام. يقول النص:

"عندها سيتجلى ملكوته بين الخلق كله. ويندحر الشيطان ويتلاشى الحزن معه. وعندها ستمتلى يدا الرسول رفيع القدر، وسرعان ما سيتقم لهم من أعدائهم... لأنه سيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسيظهر لكي يعاقب الأمم، ويدمر كل أصنامهم. عندها يا إسرائيل سعيداً ستكون..."

قبل الحديث عن تجلي ملكوت الله في آخر الزمان أود أن أبين اختلافاً جوهرياً في ترجمة قوله: "وعندها ستمتلى يدا الرسول رفيع القدر؛ وسرعان ما سيتقم لهم من أعدائهم"، وسبب الاختلاف غموض الأصل اللاتيني الذي لا نمتلك غيره. فتشارلز مثلاً يترجم الفقرة بقوله: "ثم ستمتلى يدا الملاك الذي عين رئيساً؛ وسرعان ما

سينتقم لهم من أعدائهم." ^(١) أما ترجمة الخوري العربية - عن الفرنسية - فتقول: "وعندها سيُؤلَّى المُرْسَل، المستقر في الأعلى؛ وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم".

نلاحظ أنه لا فرق بينهما في ترجمة النصف الثاني من الفقرة، أما النصف الأول فظاهر الاختلاف؛ وهذا يُحْتَم علينا الاستعانة بالنص اللاتيني الأصلي. يقول النص اللاتيني:

Tunc implebuntur manus nuntii qui est in summo constitutes, qui protinus vindicavit illos ab inimicis eorum ^(٢).

ومعناه الحرفي: "ثم ستملأ يدا الرسول الذي وُضع في علو، الذي سرعان ما انتقم لهم من عدوهم".

(1) "Then the hands of the angel shall be filled Who has been appointed chief, And he shall forthwith avenge them of their enemies."

(2) Otto Fridolinus Fritzsche. *Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti* (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871), p. 151.

فدل هذا على أن كلمة "ملاك" في ترجمة «تشارلز» بجانبه للصواب، وأن كلمة "مُرسل" في الترجمة العربية أكثر دقة. لكن "الذي وُضع في علو" تظل مثار جدل؛ فالنسخة العربية - المترجمة عن الفرنسية - فهمت فيما يبدو أن العلو هنا هو السماء فترجمتها "المستقر في الأعلى". أما «تشارلز» ففهم منها الرفعة في القدر لا حقيقة المكان، فترجمها "الذي عُين رئيساً"، وأرى - والله أعلم - أن الأقرب ترجمتها بـ "رفيع القدر" أو "ذي المكانة" أو نحوهما. فيصير النص: "وعندها ستمتلئ يدا الرسول رفيع القدر؛ وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم".

ثم يحدد موسى عليه السلام المدة بين موته ومجيء الرسول الخاتم رفيع القدر، فيقول: "وأنت يا يوشع (بن) نون، احفظ هذه الكلمات وهذا السّفر؛ لأنه من موتي إلى مجيئه سيكون مائتان وخمسون زمناً. وهذا هو مجرى الأزمنة كما ستحل حتى تنتهي. أما أنا فسأمضي لأرقد مع آبائي. ولهذا كن قوياً وشجاعاً، أنت يا يوشع بن نون، لأن الرب اختارك لتكون خليفتي في الميثاق نفسه."

نحن إذن أمام محك صارم لتحديد زمن تجلي ملكوت الله واندحار الشيطان، وظهور الرسول رفيع المكانة. فهذه الفقرة تعطينا إطاراً زمنياً دقيقاً على غرار ما سبق في «رؤيا أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم».

يقول موسى ﷺ ليشع بن نون ﷺ إن من موته إلى زمن مجيئه، أي مجيء ملكوت الرب أو الرسول، مدة قدرها ٢٥٠ زمناً. فما المقصود بالزمن هنا: سنون أم عقود أم قرون؟

جلُّ علماء أهل الكتاب على أن المراد بالزمن هنا أسبوع من السنين، أي سبع سنين. يقول «تشارلز» في تعليقه على الفقرة: "٢٥٠ زمناً: تعني ٢٥٠ أسبوعاً سنوياً أي ١٧٥٠ عاماً." ^(١) ويعبر «م. ر. جيمس» عن شبه الإجماع هذا بقوله: "الأزمة هنا تؤخذ عادة على أنها أسابيع من السنين، وهذا يعطينا ١٧٥٠ [عاماً]." ^(٢)

ومع ذلك يذهب علماء النصارى إلى أن المبشر به في الفقرة هو «المسيح» ﷺ. وهذا الإصرار من جانبهم ليس له ما يؤيده من داخل النص ولا من خارجه. فإننا لو سلمنا جدلاً أن موسى ﷺ توفي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد - وهو التاريخ التقليدي عند أهل الكتاب -، فإننا سنجد أن مجيء النبي الموعود سيقع في القرن الثالث الميلادي، وهو تاريخ بعيد عن زمن المسيح ﷺ. وحتى لو سلمنا

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament, vol. II, p. 423.

(2) M. R. James. The Biblical Antiquities of Philo (Forgotten Books, 2007), p. 289.

جدلاً أنه المسيح عليه السلام فلن يستقيم لنا تاريخ وفاة موسى عليه السلام، فإنه يصير قبل الميلاد بـ ١٧٥٠ عاماً، وهو ما لا يقبله علماء أهل الكتاب أنفسهم؛ فبطلت حجتهم في الحالين.

إن الصواب في هذه المسألة اعتماد تاريخ وفاة موسى عليه السلام بناء على ما حررته سلفاً من أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في زمن الفرعون «رعمسيس الثاني»، وعليه فإن تاريخ هلاكه هو أيضاً تاريخ الخروج. فمتى كان هلاك هذا الفرعون؟

إن المراجع الشهيرة لا تختلف كثيراً في تحديد تاريخ وفاة رعمسيس الثاني؛ فـ «قاموس أنكور الكتابي» يحدد هلاكه بعام ١٢١٢ ق.م، والموسوعة البريطانية تحده بـ ١٢١٣ ق.م، وعلى هذين التقديرين تسير جُلُّ المراجع المعتبرة المختصة بتاريخ مصر أو العهد القديم. فإذا كان هلاك فرعون موسى عام ١٢١٣ ق.م فإن موت موسى عليه السلام كان بعد هذا التاريخ بنحو من أربعين عاماً - إذا ما اعتبرنا مدة تيه بني إسرائيل - أي في سنة ١١٧٣ ق.م أو قبلها بيسير؛ لأن دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة بعد انقضاء مدة التيه كان بعد وفاة موسى عليه السلام على يد غلامه يوشع بن نون عليه السلام كما هو معلوم.

ولتبسيط الأمر يمكن تمثيله رياضياً كالتالي:

(تاريخ هلاك فرعون) - (مدة التيه) = (تاريخ وفاة موسى ﷺ).

١٢١٣ ق.م - ٤٠ عاماً = ١١٧٣ ق.م

(تاريخ وفاة موسى ﷺ) + (المدة بين موسى والنبي الموعود)
= (زمن ظهور النبي الموعود).

١١٧٣ ق.م + ١٧٥٠ = ٥٧٧ م.

والدنيا كلها تعلم أنه ما ظهر في هذا التاريخ أعظم ولا أعز على الله ولا أصدق لساناً ولا أنقى فؤاداً ولا أنصح للعباد من رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ؛ وكان ميلاده عام ٥٧١ م، كما بشر موسى ﷺ.

فإن قال مباحك: هذا لا يستقيم، فبين التاريخين ستة أعوام.

قلنا: هذا من التعنت الظاهر، فإن موسى ﷺ توفي قبل انقضاء التيه، لكننا لا نعلم في أي عام على وجه الدقة حتى تدعي هذا الاختلاف، فبطل اعتراضك.

ثم يشير النص بعد تحديد زمان النبي الموعود إلى طرفٍ من صفته، فيقول:

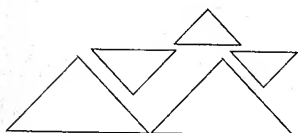
وسرعان ما سينتقم لهم من أعدائهم ... لأنه سيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسيظهر لكي يعاقب الأمم، ويحطم كل أصنامهم.

فنعته بأنه سيتنصر للمؤمنين من أعدائهم الكافرين وسيحطم أصنامهم، وكان ذلك يوم فتح مكة شرفها الله، إذ أخضع الله به رقاب العرب الوثنيين، فحطم أصنامهم التي كانوا ينصبونها حول الكعبة، وأرسل أصحابه يدكون صروح الوثنية في أنحاء الجزيرة العربية، ثم خلفه أصحابه رضوان الله عليهم فعاقبوا بقية الأمم المشركة فهزموا عبّاد الصليب في بلاد الشام وعبّاد النار في أرض فارس، حتى ظهر الإيمان واندحر الكفر، فله الحمد.

وبعد أن أوردت بعض البشائر بالمصطفى ﷺ مما يُعرف بالأسفار المنحولة، أعود إلى الأسفار القانونية المعتمدة عند أهل الكتاب حتى لا تبقى لمنكر حجة.

الفصل الثاني

اسم النبي ﷺ في
أسفار أهل الكتاب



«محمد» ﷺ في سفر "هوشع"

يزعم علماء أهل الكتاب أن أسفارهم "المقدسة" لا تحوي أثراً لاسم محمد ﷺ البتة، وأن قول الله ﷻ: ﴿يُحْدِثُونَ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو محاولة لإضفاء شرعية وقداية على الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام التي هي عندهم دينٌ مقتبس عن اليهودية والنصرانية. وبغض النظر عن هذه المزاعم الباطلة إلا أن الحديث عما يسمى «الكتاب المقدس» (Holy Bible) ليس في الحقيقة حديثاً عن التوراة والإنجيل اللذين هما كتابان منزلان من عند الله. وعليه فلولم يرد اسم محمد ﷺ في كتابهم الذي بين أيديهم ما كان ذلك قدحاً في تقرير القرآن الكريم.

ف «الكتاب المقدس» ينقسم إلى قسمين رئيسين. العهد القديم: ويشترك في الإيمان به اليهود والنصارى، ويحوي هذا القسم أحكاماً وقصصاً تمتد من بدء الخليقة إلى القرن الخامس ق.م تقريباً كتبها عدد من المجاهيل الذين لا يُعلم حالهم. أما العهد الجديد فلا يقبله سوى النصارى، ويشتمل على سيرة المسيح ﷺ كما لفقها كتّابها متى ومرقص ولوقا ويوحنا، بالإضافة إلى رسائل يُنسب بعضها إلى بولس اليهودي وبعضها إلى غيره.

ولكن لتطمئن قلوب المؤمنين وتزداد قلوب الجاحدين حسرة ولا يُتهم المسلمون بالحيدة على أي حال؛ أُورد هنا فقرات من العهد القديم التي يتفق اليهود والنصارى على قبولها؛ بقي فيها اسم «محمد» ﷺ صريحاً رغم عبث العابثين. وبِغَضِّ النظر عن صحة نسبة النصِّ إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أو بطلانه فإنه يبقى شهادة تاريخية سابقة لبعثة المصطفى ﷺ ودليلاً على ورود اسمه الكريم منذ ذلك الزمن في وحي أصيل أخفاه الأحرار والرهبان كما أخفوا غيره من الكتاب.

ترد هذه الفقرات في سفر «هوشع» - الذي هو أحد أسفار العهد القديم المعتمدة - في سياق توبيخ بني إسرائيل على ما اقترفوه من الخطايا والآثام، إذ خاطبهم «الرب» قائلاً:

" ١ لَا تَبْتَهِجْ يَا إِسْرَائِيلُ وَلَا تَطْرُبْ كِبَيَّةَ الشُّعُوبِ، لَأَنَّكَ قَدْ خُنْتَ إِلَهَكَ وَهَجَرْتَهُ، وَأَحْبَبْتَ أُجْرَةَ الزَّنى عَلَى كُلِّ بَيَادِرِ الحِنْطَةِ. ٢ هَذَا فَإِنَّ البَيْدَرَ وَالْمَعْصِرَةَ لَا يُطْعِمَانِكُمْ، وَالْحُمْرَةَ الجَدِيدَةَ لَا تُلَبِّي حَاجَتَكُمْ. ٣ لَنْ تَظْلُوا مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ بَلْ يَرْجِعَ أَفْرَايِمُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، وَيَأْكُلُوا لَحْماً نَجِساً فِي أَشُورَ. ٤ لَا تَسْكُبُوا لِلرَّبِّ خَمْراً وَلَنْ تُسَرَّهُ دَبَائِحُكُمْ، بَلْ تَكُونُ لَكُمْ كَحَبِزِ النَّائِحِينَ. كُلُّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْهُ يَتَنَجَّسُ، إِذْ يَكُونُ حُبُزُكُمْ لِسَدِّ جُوعِكُمْ فَقَطْ، وَلَا يَدْخُلُ أَبَداً إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. "

[هوشع ٩: ١-٤].

وبعد فقرات من التوبيخ يسألهم الرب قائلاً:

מִה־תַּעֲשׂוּ לַיּוֹם מוֹעֵד וּלְיוֹם חַג־יְהוָה: כִּי־הִנֵּה הִלְכּוּ
מִשָּׂד מִצְרַיִם תִּקְבְּצֶם מִן תִּקְבְּרֶם מִחֲמַד לְכַסְפֶּם קְמוּשׁ
יִירָשׁוּם חֹוֹחַ בְּאֵהָלֵיהֶם: בָּאוּ יָמֵי הַפְּקָדָה בָּאוּ יָמֵי הַשִּׁלֹּם
יִדְעוּ יִשְׂרָאֵל אֲנִי־לֹה הַנִּבִּיא מְשַׁעַל אִישׁ הָרוּחַ עַל־רֹב עֲזוֹנָךְ
וְרַבָּה מִשְׁטָמָה

ما تعسو ليوم موعيد وليوم حج يهوه؟ كي هيني هاخو مشود.
مصرايم تقبصم، موف تقبرم، تحمد لخبسام، قيموش ييراشم، حوح
بأهليهم. باؤو يمي هبجوداه، باؤو يمي هشلوم. يدعو سرتيل إيفيل
هنفي، مشجع إيش هروح؛ عل روف عفونخا، فرباه مسطماه.

وتفسيره وفقاً لأغلب التراجم العربية والأعجمية - مع فروق
يسيرة -:

٥ ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب. ٦ إنهم
قد ذهبوا من الخراب؛ تجمعهم مصر، تدفهم موف، يرث
القريص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. ٧

جاءت أيام العقاب، جاءت أيام الجزاء، سيعرف إسرائيل
النبي أحق إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد.

إن جلّ الترجمات العربية والأعجمية فسرت هذا النص تفسيراً
عجيباً لا يكاد يفصح عن معنى مفهوم، بل لا يعدو رصاً لجمل متنافرة
لا يربطها رابط. فما هو "يوم الموسم"؟ وما هو "يوم عيد الرب"؟ وما
معنى "سيعرف إسرائيل، النبي أحق، إنسان الروح مجنون، من كثرة
إثمك وكثرة الحقد."

وهاك نماذج من هذه الترجمات وأغلاطها:

النسخة السبعونية اليونانية (Septuagint): "لأنهم أولاء
يخرجون من بلاء مصر."^(١)

النسخة الدولية الجديدة (NIV): "وإن فروا من الخراب، مصر
تجمعهم."^(٢)

النسخة القياسية المنقحة (RSV): "لأنهم أولاء يخرجون إلى

(1) "dia touto idou poreusontai ek talaiporias Aiguptou".

(2) "Even if they escape from destruction, Egypt will gather them."

أشور، مصرُ تجمعهم." (١)

إن العجب من هذا التباين سرعان ما يتلاشى إذا ما رجع الباحث إلى النص العبراني لسفر «هوشع» ليرى أن الترجمات المختلفة أبعد ما تكون عن الدقة، وإنما أوكلت في كثير من الأحيان إلى من ليس من أهل اللغات «السامية» (٢) وإن كان من المختصين بها؛ فتراه يقلّب معاجم العبرية يهرع إلى أي معنى يحتمله السياق وهو لا يمتلك سليقة تدله على المعنى المراد من بين عشرات المعاني أحياناً. وجُلُّ الترجمات إنما قام بها هؤلاء الأعاجم.

فالنسخة السبعونية اليونانية أضافت كلمة (talaiporias) التي تعني الشدة والبلاء (أو الخراب أحياناً) إلى كلمة (Aiguptou) (أي "مصر") لتصبح العبارة "بلاء مصر". ومع أن هذا المعنى مقبول في نفسه إلا أنه لا ينسجم أبداً مع السجع المقصود في النص كما سيأتي بيانه بعد قليل.

(1) "For behold, they are going to Assyria; Egypt shall gather them..."

(٢) درج وصف «السامية» على ألسنة الباحثين رغم خطئه، والصواب أن يقال «اللغات العربية القديمة» أو نحوه.

كما نلاحظ أن ما اعتبرته النسخة «السبعونية» اليونانية إضافةً اعتبرته «النسخة الدولية الجديدة» (NIV) كلمتين منفصلتين؛ ف"من بلاء مصر" تصبح "من الخراب، مصر...".

أما «النسخة القياسية المنقحة» (RSV) فقد أغربت كثيراً حتى إن المرء ليتساءل: أي يد خرقاء قامت بها؟ فقد ترجمت حرف الجر «م» (ومعناه "من") بـ "إلى"، وهو عكس المقصود تماماً! ثم فسرت كلمة «شود» (أي "البلاء") بـ «أشور» التي ينسب إليها الآشوريون، فصارت "يذهبون إلى آشور". وأي تشابه ثمة بين شود (שוד) وأشور (אשור) في العبرانية حتى يُلتمس العذر للمت ترجم؟ إنه مثال يبيّن على تحريف المترجمين لا يمكن تفسيره إلا أنه اتباع للهوى أو جهل كثيف. ولعل قارئاً نبّه دار النشر إلى هذا الخطأ الجلي فغيّر في «النسخة القياسية المنقحة الجديدة» (NRS) إلى "وإن فرّوا من الخراب" على غرار «النسخة الدولية الجديدة».

لقد كانت العبرانية إحدى اللغات العربية القديمة كالسبئية والشمودية، تحدّث بها الكنعانيون العرب الذين قطنوا فلسطين، ثم اتخذها اليهود لساناً لهم وأسموها "سِفْت كَنَعَن" أي «لسان كنعان» كما يشهد لذلك سفر إشعياء (١٨: ١٩)، لكنها لما فقدت علاماتها

الإعرايية - كحال كثير من اللغات العربية القديمة - أصبح من الصعوبة تحديد المعاني بدقة كما في النص الوارد أعلاه؛ فلو كانت كلمة «مصريم» تحمل علامة رفعٍ لَعُلِمَ أن ليست متعلقةً بـ «شود» (أي «بلاء»)، بل هي جملة مُستأنفة. وفي هذا تقول الموسوعة البريطانية:

كان للغة السامية [العربية الأم] في الأصل ثلاث حالات: (الرفع والنصب والجر). لكن العلامات الإعرايية التي ميزت تلك الحالات لم تُحفظ حفظاً كاملاً إلا في بعض اللهجات الأكادية وفي العربية الفصحى. ^(١)

أعود فأقول إن القارئ للفقرتين ٥ و ٦ في أصلهما العبراني لا يغيب عنه ما فيهما من تناظر وسجع تنتظم به الجمل تلقائياً دون تكلف أو تعسف. يقول النص:

مِصْرَايِمِ تَقْبِصِمِ ^(٢)	(مصر تحشرهم)
مَوْفِ تَقْبِرِمِ	(موف تقبرهم)
مَحْمَدَ حَسْبَامِ	(نفيس فضتهم [؟])

(1) Encyclopedia Britannica. "Semitic Languages".

(٢) من «قبص» العبرانية (ويقابلها في العربية «قبض») بمعنى «جمع» أو «حاز».

قَمْوشٍ بِيرِاشِمِ (القريص^(١) يرثهم)
حُوحَ بِأَهْلِهِمِ (العوسج في منازلهم)

فيلحظ أن الجمل الثلاث الأولى تبدأ بالميم، كما أن كل جملة تنتهي بميم الجمع التي تقابل «هم» في العربية، وهو نظم يذكّرنا بنظم الموشّحات الأندلسية، كقول ابن المهلهل واصفاً الطبيعة:

النهر سل حساماً على قدود الغصون

وللنسيم مجالُ

والروض فيه اختيالُ

مُدّت عليه ظلالُ

... إلى آخر ما قال.

المقصود أنه عند اتباع النظم الصحيح للنص يتبيّن أن «مصر ايم» مبتدأ وليست مضافاً إليه كما اقترحت النسخة السبعونية. فلما أخطأت النسخة السبعونية بأن اعتبرت «[م-]شود مصر ايم» مضافاً ومضافاً إليه ترتب على ذلك أن أعادت صياغة الفقرتين بعدها على النحو

(١) أو القُرَّاص، وهو نبات.

التالي:

تقبصم موف (تحشروهم موف)

تقبرم محماس (تقبرهم محماس [؟])^(١)

لخسبام قيموش ييراشيم (أما فضتهم فيرثها الخراب)

حوح بأهليهم (ويكون العوسج في خيامهم)

وبهذا يتبين أن النسخة السبعونية أفقدت النص نظمه وإيقاعه، بل وأخلّت - كغيرها من النسخ - بقواعد الإعراب في الجملة الثالثة. ولم يقف التحريف عند تغيير المبنى، بل حُرف المعنى كذلك. وهنا سأركز الحديث على معنى النص ليرى القارئ كيف أن تلاعب المترجمين حوّل نصّاً صريحاً في نبوة المصطفى ﷺ إلى جملٍ شديدة الركاكة باهتة المعاني أشبه ما تكون بسجع الكهان.

(١) وهو تحريف للكلمة الأصلية "م-ح-م-د" كما سأيّنه لاحقاً إن شاء الله.

تفسير النص:

أما قوله: (ما تَعْسُو ليوم موعيد وليوم حج يهوه؟) فليست له علاقة بالمواسم والأعياد، وهذا ظاهر من السياق، إنما هو تحويف وتذكير لبني إسرائيل الذين ابتعدوا عن منهج الله وعصوا رسله. فَمَنْ ترجمه بقوله "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟" أبعد النجعة وأحال الوعيد عيداً. فالنص العبراني يقول: (ل-يوم) ومعناها "لِيَوْمٍ" وليس (ب-يوم) "في يوم". وعليه فالصحيح أن تترجم هكذا: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد^(١) ويوم يحشركم الرب؟"، فكلمة "حج" في العبرانية هي كل اجتماع حاشد، وإنما استُعيرت للعيد لاجتماع الناس فيه. ومعنى الجملة يُذَكَّرُ بقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأما قوله (كي هيني هاخو مِسُود: مصر ايم تقبصم، موف تقبرم) فتفسيره "فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم ومنف^(٢) تقبرهم [أو تدفنهم]". وهو تذكير لبني إسرائيل بما تعرضوا له من ابتلاء

(١) "موعيد" في النص العبري.

(٢) منف: مدينة مصرية قديمة.

على يد فرعون وقومه، فالنص يشير إلى النجاة من البلاء، والاستعباد، والقتل، وهو معنى قريب جداً من قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ يَخِيفُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

لكن اضطهاد المصريين ليس كل ما تعدّده الفقرة من ابتلاء لبني إسرائيل، فهي تستمر قائمة (مُحَمَّدٌ لَخَسْبَام)، وهنا بيت القصيد؛ فقد تُرجمت هذه العبارة بـ "نفائس فضتهم" وهو من التحريف الظاهر لأمرين رئيسين. أولهما: أن إضافة «مُحَمَّدٌ» (بمعنى "نفيس") إلى «خسبام» (أي "فضتهم" أو "ماهم") من الركاكة بمكان، لوقوع حرف الجر «ل» بينهما؛ حتى إن «فيلهلم جسنيسوس» في كتابه «نحو اللغة العبرانية» Gesenius' Hebrew Grammar أورد احتمال أن تكون العبارة في أصلها (مُحمدي خَسْبَام)، وهي صيغة الإضافة السوية في العبرية.

الأمر الآخر: إن سلّمنا جدلاً بصحة الإضافة في (مُحَمَّدٌ لَخَسْبَام) "نفيسُ فضتهم" [أو "ماهم"] فهي رغم ذلك ليست جملة مفيدة، فهي تحوي مبتدأً يفتقر إلى خبر، أو خبراً لمبتدأً محذوف لا نعلمه، مما اضطّر المترجمين إلى أن يربطوها بـ (قيموش ييراشم) التي تليها، فقالوا "يرث

القريص نفائس فضتهم"؛ وهي محاولة بائسة للهروب من المأزق. لكن الجملة لا تستقيم رغم ترقيعهم هذا، لأننا لو ترجمنا النص العبري حرفياً لصار "نفيس فضتهم القريص يرثهم" بمعنى أن ضمير الجمع «هم» سيعود على المفرد «نفيس» وهو ما لا يستقيم في اللغة العبرانية، وإنما يقال "نفيس فضتهم القريص يرثه"، ولو افترضنا أن الضمير يعود على «فضة» - وهو بعيد جداً - فالاعتراض قائم لأنها مفرد وليست جمعاً حتى في أصلها العبري (لـ[كسف-م]). فدل ذلك على أنها جملتان وليستا جملة واحدة.

فما معنى الجملة إذن؟ إن (مُحَمَّدَ لِحَسْبَام) عبارة وجيزة مستأنفة معناها الحرفي "مُحَمَّدٌ لِمَالِهِمْ"، فـ«محمد» اسم عَلمٌ يشير إلى النبي ﷺ وليس صفة بمعنى «نفيس»، يشهد لهذا أمران على الأقل، أولهما: أن الجملة بغير هذا الشكل لا تستقيم لا معنى ولا مبنى كما سبق بيانه. ثانياً: لما تعرّض مترجمو النسخة السبعونية لهذه الفقرة كانوا يدركون أن «محمد» اسم علم، فكأنهم حاروا ما يفعلون، فلجأوا إلى تغيير الاسم إلى «مَحْمَس» (Machmas)، أي مدينة «مخماش».

ولعل قارئاً يقول: ألا يمكن أن يُعتذر لهم باحتمال أن حرف الدال لم يكن بيتاً في الأصل العبراني فأشكل على المترجمين؟ فأقول:

أولاً، إن حرفي السين (سامخ) والذال (دالت) في العبرانية لا يتشابهان البتة والخلط بينهما بعيد، فالأول يكتب هكذا (ס) والآخر يكتب هكذا (ט) ! ثانياً: لو افترضنا ذلك جدلاً فإن مدينة «مخماش» التي يريدونها المترجمون هنا لا تكتب في العبرية «محمس» وإنما (מִחְמָשׁ) «مكمس» أو (מִכְמָשׁ) «مكمش» بكاف وسين أو كاف وشين؛ فالتحريف لم يقع في حرف واحد فحسب، بل في حرفين اثنين.

وقد يعترض معترض فيقول: لم بدلت «محمّد» فجعلتها «محمّد»؟ والجواب أن النص العبري ظل أكثر من ألف عام مجرداً عن الحركات إلى أن أضافها «المسوريون» من علماء اليهود بين القرنين السادس والتاسع بعد الميلاد وفق اجتهادهم، فأصابوا بعضاً وأخطأوا بعضاً. فالكلمة قبل تحريف المسوريين كانت (מחמד) «محمد» دون حركات، ولم تكن (מחמד) «محمّد»، وهذا مما يُجمع عليه علماء العهد القديم. فلم يبق إلا الإذعان بأن «محمد» علم على النبي ﷺ.

والمراد من الفقرة أن محمداً ﷺ سيتولى تأديبهم في أموالمهم، وحصل ذلك عندما أجلى بني النضير إلى أذرعات من أعالي الشام وإلى خيبر حتى إن أحدهم كان ينزع باب داره وسقفها لئلا يخلفها وراءه، كما جاء في سورة الحشر ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ

دِيرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَأَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ
بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿[الحشر: ٢٠]﴾ إِلَى
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا
رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[الحشر: ٦].

أما قوله: (قيموش ييراشم، حوح بأهلهم) فسأعتمد فيه ترجمة
النسخ العربية "القريص يرثهم، والعوسج في منازلهم" - تنزلاً لا
قبولاً - حتى لا أطيل على القارئ.

ثم يعود الرب إلى تحذير بني إسرائيل من مغبة كفرهم وأن أيام
المساءلة قد أزفت فيقول: (باؤو يمي هبجوداه، باؤو يمي هشلوم) أي
"أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء". واستعمال الزمن الماضي هنا
دلالة على التحقق والوقوع لا محالة، كقوله تعالى: ﴿أَفَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا
تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

ثم يبين السبب في هذا التهديد والوعيد فقال: (يدعو يسرائيل
إفيل هنفي، مشجع إيش هروح) وترجمتها كما في ترجمة «فان دايك»

"سيعرف إسرائيل، النبي أحق، إنسان الروح مجنون." وهي كما ترى غاية في الركافة والإبهام، والسبب في هذا أن جل الترجمات العربية والأجنبية اعتبرت الفعل العبري «يدعو» مشتقاً من «ي-د-ع» بمعنى "عرّف"، والصحيح أنه مشتق من "د-ع-هـ" بمعنى "دعا". وهذا الفعل ثابت في العبرانية كما فصل ذلك «جيمس بار» في كتابه «فقه اللغة المقارن ونص العهد القديم». ^(١) فالجملة (يدعو إسرائيل إفيل هتفي، مشجع إيش هروح) تتألف من فعل متعدي إلى مفعولين، وفاعل، ومفعول به ثانٍ مقدّم، ومفعول به أول مؤخر، ثم مفعول به ثانٍ مقدّم؛ ومفعول به أول مؤخر مضاف. وعليه فالترجمة الحرفية للفقرة هي "تدعو إسرائيل النبي سفيهاً، ورجل الروح مجنوناً"، والمراد بـ «إسرائيل» هنا بنو إسرائيل. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَوْا بِهِ ۖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

(1) Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987), p. 23.

ثم يَبَيِّنُ النَّصُّ ما دفع اليهود إلى هذا السبَاب والجُحود فقال (عل روف عفونخا، فرباه مسطماه) "لكثرة آثامك وفرط عدائك".^(١) فسبب تكذيب اليهود للنبي ﷺ وشتمهم إياه - بشهادة أسفارهم - هو فرط عدائهم، وهو كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وفي قصة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها سالفه الذكر أنها قالت: كنت أَحَبُّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييُّ بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلَّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالَّين كسلاَّين ساقطينَ يمشيان الهُوَيْنِي. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من

(١) هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب، أي انتقال من صيغة الغائب "يدعو إسرائيل" إلى صيغة المخاطب "آثامك" و"عدائك"، وفائدته البلاغية لفت المستمع أو القارئ إلى أمر ذي شأن. وقد سبق ورود التفات آخر عند قوله "ما أنتم عاملون ... فهاهم أولاء نجوا من البلاء" والأصل "فهاأنتم أولاء نجوتم من البلاء". وهذا لا يعيننا كثيراً هنا وإنما أردت به بيان مُراوحة الضمائر وأن ذلك لا يغيّر من أصل معنى النص شيئاً.

الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت".^(١)

هنا أختتم بعرض ترجمة «فان دايك» العربية للنص أعلاه وأتبعها بترجمتي التي اعتمدت فيها الأصل العبري وأترك للقارئ الحكم.

ترجمة فان دايك: "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟ إنهم قد ذهبوا من الخراب، تجمعهم مصر، تدفنهم موف، يرث القريص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل، النبي أحق، إنسان الروح مجنون، من كثرة إثمك وكثرة الحقد."

ترجمة الباحث: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد، ويوم يحشركم الرب؟ فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم، ومنف تدفنهم، ومحمد يغنمهم، والقريص يرثهم، والعوسج في ديارهم. أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء، فبنو إسرائيل يدعون النبي سفيهاً وذا

(١) سيرة ابن هشام ٥١٩/١.

الوحي^(١) مجنوناً، من عِظَم الإِثْمِ وفِرط العِداء.

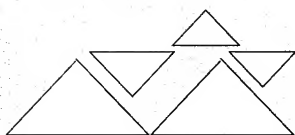
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿[البقرة: ١٤٥٦-١٤٥٧].

(١) «إيش هروح» التي تترجم بـ «إنسان الروح» معناها "ذو الوحي" وهو وصف لمحمد ﷺ إذ سُمي القرآن الذي أنزل عليه "روحاً" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الفصل الثالث

قبلته ﷺ مثابة

للناس



«بكة» في سفر المزامير

في تعليق على «سفر المزامير»^(١) ينقل اللاهوتي القسّ «جورج بوش»^(٢) عن المفسر «روزنمولر»^(٣) قوله: "إن الجزء الأول من المزمور [الرابع والثمانين] لا يمكن إيضاحه بمثالٍ خيرٍ من - ولا يُسأ فهم مقصدنا! - أولئك الذين يحجون إلى مكة." ^(٤) وهو هنا يعرّض بالمسلمين كما سترى؛ فما هي الحقيقة التي يخشى أن ينصرف إليها كلامه؟

يقول المزمور الرابع والثمانون وفقاً لترجمة «فان دايك» العربية الشهيرة:

(١) سفر المزامير: أحد أسفار العهد القديم التي يشترك في قبولها اليهود والنصارى وينسبونه إلى داود عليه السلام.

(٢) جورج بوش: لاهوتي ومفسر أمريكي يلتقي نسبه بالرئيس الأمريكي الأسبق «جورج ووكر بوش». له كتاب «حياة محمد ﷺ» وتفسير على ما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٥٩ م.

(٣) إرنست فريدريك روزنمولر: لاهوتي ومفسر ألماني. كان أستاذاً للغات الشرقية جامعة «لايبسج» الألمانية، وله مؤلفات وتفسير لما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٣٥ م.

(4) Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865), p. 396.

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك (سلاه)؛ طوبى
لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء
يصيرونه ينبوعاً، أيضاً بركاتٍ يُغطّون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة،
يُرون قدام الله في صهيون." (مزامير ٨٤: ٥-٨).

إن غموض المعنى في هذا المزمور مما يثير الشك بأن تحريفاً قد
حصل من قبل المترجمين عن الأصل العبراني، مما يجعل الرجوع إلى
الأصل العبراني^(١) مما لا مندوحة عنه. يقول النص العبراني:

אַשְׁרֵי יוֹשְׁבֵי בֵיתְךָ עֹד יְהִלְלוּךָ סֵלָה: אֲשֶׁרִי אָדָם
עֲזֹז־לֹא בָדַד מְסֻלוֹת בְּלִבָּבָם: עֲבָרֵי בְעֵמֶק הַבְּכָא מַעֲיֵן
בְּשִׁיתוֹהוּ גַם-בְּרָכוֹת יַעֲטֶה מִזֶּרֶה: יִלְכוּ מִחֵיל אֶל-חֵיל
יִרְאֶה אֶל-אֱלֹהִים בְּעֵינָיו

آشري يوشفي فيتخا عود يهللوخا، (سله)؛ آشري آدام عوز
لوباخ، مسيلوت بلفافام، عوفري بعمق هبكا معيان يشيتوهو، جم
براخوت يعطه موره، يلخو محایل إل حایل، يرائه إل إلوهم بصيون.

(١) يعد "الأصل العبراني" الذي بين أيدينا أصلاً للنسخ المحرفة المطبوعة، لكنه ليس هو التوراة الأصلية ولا قريباً منها، فهو زاخر بالتحريف والتبديل.

يتحدث النص هنا عن بركة تنال صنفين من الناس؛ أحدهما «يوشفي فيتحا» أي "ساكنو بيتك [أي بيت الرب]" ويصفهم النص بأنهم يسبحون الرب أبداً فهم في عبادة دائبة. والصنف الآخر «عوفري بعمق هبكا» "عابرو وادي البكاء" وهم الذين يأتون من كل فج عميق وقد امتلأت قلوبهم بالشوق إلى بيت الله "طرق بيتك في قلوبهم".

وهذان الصنفان اللذان أشير إليهما في سفر المزامير جاء ذكرهما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظْلَمِ نُزُفَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه." (١)

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تفسير سورة الحج.

فـ "العاكف" - أي المقيم - في الآية الكريمة يقابله "ساكنو بيتك" في نص المزامير، و "الباد" - أي الطارئ على البيت - يقابله "عابرو وادي البكاء". لكن وادياً يدعى «وادي البكاء» لم يُعهد بمكة حتى يقال إن النص إشارة إلى وفود الحجيج. فأين يقع «وادي البكاء» إذن؟

لقد تخرّص شارحو العهد القديم أيما تخرص عند تفسيرهم لوادي البكاء. فقال البعض إنه سمي كذلك لكثرة بكاء الحجيج أثناء عبورهم إلى القدس، مع أن القدس «أورشليم» غير مذكورة في نص المزمور. وقال آخرون هو اسم لشجرة «البكاء» أو «البك» التي ربما كانت تملأ الوادي، إلا أن عالم الآثار «الإسكندر مكالستر» يؤكد عدم وجود مثل هذه الشجرة في أرض فلسطين.^(١) لذا أقر البعض بأن الكلمة العبرية (ب-ك-ا) أكثر الكلمات صعوبة في سفر المزامير.

بالرجوع إلى النص العبراني نجد أن "وادي البكاء" ترجمة لـ «عِمَقْ هـ-بكا». فأما «عِمَقْ» فتعني "وادي"، وأما «هـ» فهي أداة التعريف في العبرانية. لكن الذي لا يسلم لشرح العهد القديم هو أن

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Balm".

(ب-ك-ا) في هذا النص هو البكاء. فالكلمة هنا علمٌ على موضع يدعى "بكا" لا يعرفه الشراح أو لا يريدون معرفته. يقول تفسير The New Interpreter's Bible: "بكا" يؤخذ عادة على أنه اسم علم. مكانه مجهول، لكن يبدو أنه بقعة جرداء إليها يجلب الحجاج غوثاً.^(١) ولهذا اكتفت جُلُّ النسخ الإنجليزية بكتابة الاسم كما هو (Baca).

إن الترجمة الصحيحة لـ «عِمَق هـ-بكا» هي "وادي بكة" الذي فيه بيت الله الحرام قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١١) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿[آل عمران: ٩٦]. ولولا خشية الإطالة لأوردت أقوال المخالفين من اليهود والنصارى وما تستحقه من إبطال.

ثم يضيف النص العبري قائلاً «معيان يشيتوهو»؛ وقد ترجمته النسخ العربية "يجعلونه ينابيع ماء" ونحوه، أما النسخ الإنجليزية فتباينت كثيراً في ذلك. فمنها ما وافق النسخ العربية ومنها ما ترجمه

(1) The New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994), Vol. 4, pp.1013-14.

"يَعْدُونَهُ عَيْنًا" كنسخة «الجمعية اليهودية للنشر»، أو "يجدون ماء عين يشربون منه" كـ «النسخة الأمريكية الحديثة». وعلى الرغم من اختلاف هذه النسخ إلا أنها تتفق في وجود عين أو بئر حول هذا البيت الحرام. وهذا لا يَصْدُقُ إلا على بئر زمزم التي نبتت من تحت قدمي إسماعيل عليه السلام.

يستمر النص العبري قائلاً «جَم براخوت يَعْطُهُ موره» وترجمتها وفقاً لنسخة «فان دايك» العربية "أيضاً ببركاتٍ يُغَطُّون موره"، وقد أبعد المترجمون النجعة فجاءت ترجمتهم باهتة لا تناسب السياق. والصحيح أن «براخوت يَعْطُهُ موره» تعني "الشارع [أو المَشْرَع] يمنح البركات" وإليه ذهبت الترجمة السبعونية اليونانية. أما البركات هنا فهي التي أشير إليها في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ثم يصف النص بعض أعمال الحجيج بقوله «يَلْخُو مُحَايِلَ إل حايِل» وتفسيرها - كما تزعم نسخة «فان دايك» وغيرها - "يذهبون من قوة إلى قوة". وكان هذا الجزء من النص هو الذي دفعني إلى دراسته بلغته الأصلية. فالنص في ترجمته العربية وأغلب الترجمات الإنجليزية، بالغ الركاسة كما ترى، لا يُدْرِى المراد منه. فلما رجعت إلى النسخة

العبرانية وجدت أن الكلمة (ح-ي-ل) قد تُرجمت على المجاز - "قوة" - لا على الحقيقة، وأن الكلمة في العربية بمعنى «حائل» وهو الحاجز بين شيئين، فهي السور والمتراس والجبل والتل والمرفع من الأرض. وبقيت مدةً أبحث في المعاجم العبرانية وترجمات العهد القديم إلى أن وجدت بُغيتي أخيراً في الترجمة العربية اليسوعية التي ترجمت الفقرة بقولها "من ذروة إلى ذروة يسرون." ثم زادني يقيناً ما وجدته في الترجمة العربية المشتركة "ينطلقون من جبل إلى جبل"، فأدركت أنني لم أكن واهماً وأن الفقرة تشير إلى السعي بين الصفا والمروة.

ثم يختم النص مسير الحجيج بقوله «يرائيهِ إل إلهيم بصيون» وتفسيرها حسب ترجمة «فان دايك» "يرون قدام الله في صهيون". وهنا قد يورد البعض إيراداً وجيهاً وهو: ما مناسبة ذكر "صهيون" في هذا النص إن كان يتحدث عن حجاج بيت الله في مكة؟ والجواب على هذا الإيراد من وجهين؛ الوجه الأول: أن متن العهد القديم الذي يسميه أصحابه «توراة» نالته يد التحريف والتبديل بنص القرآن، بل باعتراف علماءهم، فلا يُستغرب أن تكون كلمة "صهيون" هنا من تبديل النساخ. أما الوجه الآخر: فلو سلّمنا جدلاً بسلامة النص العبراني فالفرق بين (ص-ي-و-ن) (أي "صهيون") و(ص-ي-و-ن) (أي

"الأرض القاحلة" هو حركة الحرف الأول، علماً أن هذه الحركات أُلحقت بالنص العبراني بعد كتابته بأكثر من ألف عام وكان ذلك بناءً على ما رآه أحبار اليهود المعروفون بالـ «مَسُورِيِّين»، وفيها من الأغلاط المقصودة وغير المقصودة ما يعترف به أشهر علماءهم من أمثال «جيمس بار» وغيره. وعليه فلا يُسلَّم لأولئك البُهِت بأن الكلمة محرَّكة بالكسر لا الفتح. وبمعنى "الأرض القاحلة" تُرجم (إشعياء ٥: ٢٥) "كحَرِّ في يَبَسٍ [صَيون] تَخْفُض ضَجِيج الأعاجم"، وكذا (إشعياء ٢: ٣٢) "كسواقي ماءٍ في مكان يابس [صَيون]". وبه ينبغي أن يترجم نص المزامير أعلاه هكذا "يُرون قدام الله بأرض غير ذات زرع".

وليس المقصود هنا مجرد نظر الله إليهم، فالله لا تخفى عليه أعمال عباده في حج أو غيره فهو السميع البصير، وإنما المراد ما بيَّنه المصطفى ﷺ بقوله: "إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثاً غبراً." (١)

ختاماً: أورد النص العربي كما في ترجمة «فان دايك» ثم نص الترجمة التي اعتمدتُ فيها "الأصل" العبراني مع الحرص على منطقيّة السياق وجلاء المعاني؛ ليرى القارئ كيف أسهم المترجمون في طمس

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٨٥٢) والحاكم في المستدرک (١٧٠٨).

إشاراتٍ جلية إلى الرسالة الخاتمة.

ترجمة «فان دايك»:

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك؛ طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً، أيضاً بركاتٍ يُغطّون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة، يُرون قدام الله في صهيون."

ترجمة الباحث: "طوبى للعاكفين في بيتك، دأباً يهلّلونك."^(١)

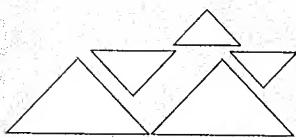
طوبى لأناس عزّهم بك، فجّاج بيتك في قلوبهم، البادين بوادي «بَكّة»، من عينٍ يشربون، ومن بركات المشرّع ينعمون، من جبلٍ إلى جبلٍ يسعون، ينظر الله إليهم بأرض غير ذات زرع."

(١) "يهلّلوخا" في النص العبراني. والتهليل - قول "لا إله إلا الله" - والتكبير في الحج أظهر من التسبيح.

ختاماً: أقول للقس «جورج بوش» واللاهوتي «روزنمولر»
 اللذين أرادا صرف البشارة عن مكة فما أفلحا: إن المسلمين الذين
 تخافان أن "يسيئوا مقصدكما" يقرؤون قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا
 بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
 مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
 يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
 (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿البقرة ١٤٥-١٤٧﴾.

الفصل الرابع

أمته ﷺ ترث الأمم



التمثال والحجر

يذكر سفر دانيال من العهد القديم أن الملك البابلي بختنصر رأى ذات ليلة رؤيا فأصبح يسأل عنها المفسرين فدُلَّ على دانيال النبي لاشتهاره بتأويل الأحاديث، فأجابه: «رَأَيْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَإِذَا يَتِمُّثَالٌ عَظِيمٌ صَحْمٌ كَثِيرُ الْبَهَاءِ وَاقِفًا أَمَامَكَ وَكَانَ مَنْظَرُهُ هَائِلًا. وَكَانَ رَأْسُ التَّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَصَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَبَطْنُهُ وَفَخَذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ، وَسَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدَمَاهُ خَلِيطٌ مِنْ حَدِيدٍ وَمِنْ خَرْفٍ. وَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي الرُّؤْيَا انْقَضَ حَجَرٌ لَمْ يَقْطَعْ بِيَدِ إِنْسَانٍ، وَضَرَبَ التَّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْمُصْنُوعَتَيْنِ مِنْ خَلِيطِ الْحَدِيدِ وَالْخَرْفِ فَسَحَقَهُمَا، فَتَحَطَّمَ الْحَدِيدُ وَالْخَرْفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا، وَانْسَحَقَتْ وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التَّمْثَالَ فَتَحَوَّلَ إِلَى جَبَلٍ كَبِيرٍ وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا. هَذَا هُوَ الْحُلْمُ.»

ثم فسر دانيال الرؤيا بقوله:

"أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ، لِأَنَّ إِلَهَ السَّمَوَاتِ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِمَمْلَكَةٍ وَقُدْرَةٍ وَسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ، وَوَلَاكَ وَسَلْطَتُكَ عَلَى كُلِّ مَا يَسْكُنُهُ

أَبْنَاءُ الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ. فَأَنْتَ الرَّأْسُ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ. ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَقُومَ مِنْ بَعْدِكَ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَقْلُ شَأْنًا مِنْكَ، وَتَلِيهَا مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمَكَّلَةٌ بِالنُّحَاسِ فَتَسْوُدُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ. ثُمَّ تَعْقُبُهَا مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، فَتَحْطُمُ وَتَسْحَقُ كُلَّ تِلْكَ الْمَمَالِكِ كَالْحَدِيدِ الَّذِي يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَمَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالْأَصَابِعِ هِيَ خَلِيطٌ مِنْ خَزَفٍ وَحَدِيدٍ، فَإِنَّ الْمَمْلَكَةَ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً فَيَكُونُ فِيهَا مِنْ قُوَّةِ الْحَدِيدِ، بِمِقْدَارِ مَا شَاهَدْتَ فِيهَا مِنَ الْحَدِيدِ مُخْتَلِطًا بِالْخَزَفِ. وَكَمَا أَنَّ أَصَابِعَ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ صَلْبًا وَبَعْضُ الْآخَرِ هَشًّا. وَكَمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ تَعْقُدُ صِلَاتٍ زَوَاجَ مَعَ مَمَالِكِ النَّاسِ الْأُخْرَى، إِنَّمَا لَا يَلْتَحِمُونَ مَعًا، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِالْخَزَفِ.

وَفِي عَهْدِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَا تَنْقَرِضُ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَتْرَكَ مُلْكُهَا لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُبِيدُ جَمِيعُ هَذِهِ الْمَمَالِكِ. أَمَّا هِيَ فَتَخْلُدُ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَجَرَ الْمُنْقَضَ الَّذِي لَمْ يُقَطَّعْ مِنَ الْجَبَلِ بِيَدَيْنِ، قَدْ سَحَقَ الْحَدِيدُ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِصَّةَ وَالذَّهَبَ. إِنَّ اللَّهَ الْعَظِيمَ قَدْ أَطْلَعَ الْمَلِكَ عَمَّا سَيَحْدُثُ فِي الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ؛ فَالْحُلُمُ حَقِيقَةٌ وَتَفْسِيرُهُ صِدْقٌ. [دانيال ٢: ٢٩-٤٥]

أما الممالك الأربع فيفسرها القديس جيروم بأنها المملكة البابلية، ثم الميديّة/ الفارسيّة، ثم الإسكندرية/ المقدونية، ثم الرومية. يقول: "... من الواضح أن الإمبراطورية الأولى، البابلية، تقارن هنا بأثمن معدن، وهو الذهب ... إمبراطورية الميديين والفرسيين تشبه الفضة ... «وَتَلِيهَا مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُثَمَّلَةٌ بِالنُّحَاسِ»، هذا يشير إلى الإمبراطورية الإسكندرية [المقدونية] ... أما الإمبراطورية الرابعة التي تشير بجلاء إلى الروم، فهي الإمبراطورية الحديديّة التي تحطم وتغلب الممالك الأخرى." (١)

وقد علق على هذا الرأي الأسقف الإنجليزي «توماس نيوتن» في كتابه «رسائل في النبوءات» بقوله: "كل الكتاب الأوائل، يهود ونصارى، يتفقون مع «جيروم» في تفسيره المملكة الرابعة بالروم." (٢)

فمن مشاهير آباء الكنيسة الذين يذهبون هذا المذهب القديسُ

(1) St. Jerome. Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977), p. 31.

(2) Thomas Newton. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832), p. 183.

«هيبوليتوس» الذي قال بنفس الرأي في تعليقه على سفر دانيال؛^(١) وكذا القديس «كيرلس الأورشليمي» في محاضراته العقدية.^(٢) أما المفسر الشهير «متى هنري» فعبر عن ذلك بقوله: "«الساقان والقدمان الحديديان» إشارة إلى الملكية الرومية."^(٣) وكونها ساقين وقدمين فيه إشارة إلى انقسامها إلى إمبراطورية رومية غربية وأخرى شرقية.

ولكن ماذا عن الحجر الذي دك التمثال وتحول إلى جبل كبير وملاً الأرض كلها؟

إن أغلب النصارى - كعادتهم - لا يترددون في القول بأن هذه مملكة المسيح عليه السلام. وهذا مجرد زعم لا يقوم على دليل لما يلي:

(1) Alexander Roberts et al. The Ante-Nicene Fathers, Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325. (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. V, p. 187.

(2) Philip Schaff. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. VII, p. 108.

(3) Matthew Henry: Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One Volume. (Peabody: Hendrickson, 1996, c1991), Da 2:31.

أولاً: جاء في العهد الجديد أنه لما سأل بيلاطس المسيح ﷺ: "إِنَّ أُمَّتَكَ وَرُؤُسَاءَ الْكَهَنَةِ سَلَّمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟". أجاب قائلاً: "لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. وَلَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ حُرَّاسِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لَا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. أَمَّا الْآنَ فَمَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هُنَا." [يوحنا ١٨ : ٣٥، ٣٦] فهي مملكة روحية.

ثانياً: جاء في تأويل الرؤيا أن الحجر أو المملكة الأبدية ستسحق غيرها من الممالك، ولم نر هذا من المسيح ﷺ وأتباعه، بل لقوا من الاضطهاد والمعاناة الشيء الكثير، حتى إن أعداءهم حاولوا قتل المسيح ﷺ فنجاه الله تعالى، بل إن النصارى يرون أنه قتل فعلاً وصلب؛ فمتى كان سحقهم للممالك الأخرى؟

ثالثاً: من قال إن نصرته النصارى كانت على يد الإمبراطور الوثني الرومي «قسطنطين»، فهو لا يعرف حقيقة الرجل، فقد كان من عباد الإله الوثني (Sol Invictus) أو «الشمس التي لا تقهر»، وهو الذي بدل دين النصارى كما سيأتي بيان ذلك عند شرح الإصحاح السابع من سفر دانيال.

رابعاً: أورد المؤرخ اليهودي «فلافيوس يوسيفوس» هذه الرؤيا

في كتابه «عاديّات اليهود»، لكنه لما بلغ الحديث عن الحجر قال: "لقد بَيَّن دانيالُ أيضاً معنى الحجر للملك، لكنني لا أرى ذكره مناسباً، لأنني إنما أخذت على نفسي وصف الأمور الماضية والحاضرة، لا الأمور المستقبلية." (١)

ومن المعلوم أن «يوسيفوس» (٣٧-١٠٠ م) عاش بعد المسيح عليه السلام، وكتابه هذا كتبه في نهاية القرن الأول الميلادي (٩٤ م تقريباً)، ومع ذلك فإنه يصرح أن تفسير الحجر المذكور في الرؤيا لم يقع بعد، فدل على أن تأويلها ليس في زمن المسيح عليه السلام. لكننا لا ندري لم لم يَر ذكرها. يعلل هذا «قاموس التفسير اللاهوتي للكتاب المقدس» بقوله: "يَعُدُّ «يوسيفوس» روما المملكةَ الرابعةَ في (دانيال ٢)، لكنه يرفض التعليق على الحجر، ربما لئلا يجرح مشاعر القراء الروم بحديثه عن سقوط روما. ولعل هذا يفسر تجاهله لـ (دانيال ٧)." (٢)

(1) Flavius Josephus. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006), p. 438.

(2) Kevin J. Vanhoozer, et al. Dictionary for Theological Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005), p. 156.

وهذا سبب وجيه؛ لأن «يوسيفوس» كان من بطانة أباطرة الروم. ولكن هل يمكن أن يكون ثمة سبب آخر وهو أنه عرف من هو الحجر، لكنه - كحال غيره من اليهود - لم يُرد أن ييوح بوصف النبي محمد ﷺ وأُمَّتُهُ؟ هذا أيضاً محتمل خصوصاً إذا علمنا أن هذه الرؤيا متعلقة برؤيا دانيال في الإصحاح السابع الذي تجاهله «يوسيفوس».

فما الذي يمثله الحجر؟ إنه المملكة التي دكت عروش الأكاسرة الفرس والقيصرة الروم و"لم تُقطع بيد إنسان" بل قامت على وحي إلهي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذا نعت محمد ﷺ لا نعت المسيح - ﷺ - فهو الذي بُعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض منه ومن أُمَّتِهِ في مشارق الأرض ومغاربها وسلطانه دائم لم يقدر أحد أن يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها." (١)

وقد قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٥/ ٢٧٧.

رؤيا الحيوانات الأربعة

هذه الرؤيا تلتقي مع سابقتها في كثير من تفاصيلها؛ فهي تتحدث عن أربع ممالك يتبع بعضها بعضاً، أقواها المملكة الرابعة التي تسحق الممالك الثلاث، وتضطهد "القديسين" - على حد تعبير الرؤيا - لكن الغلبة في نهاية الأمر تكون للقديسين، وتبقى مملكتهم إلى الأبد. يقول «قاموس النبوءة الكتابية ونهاية الزمان»: "بالرغم من أن كلاً من الإصحاحين الثاني والسابع من سفر دانيال يسجل رؤيا منفصلة، إلا أنهما يتناولان السيناريو ذاته - تجلي أربع ممالك قوية عبر التاريخ، تبدأ من زمن دانيال."⁽¹⁾

وقبل الشروع في تفسيرها أفَضِّل إيرادها بتمامها حتى يؤخذ الكلام في سياقه.

"فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِحُكْمِ بَيْلِشَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ رَأَى دَانِيَالُ حُلُمًا وَرَوَى، مَرَّتْ بِرَأْسِهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي فِرَاشِهِ، فَدَوَّنَ الْحُلْمَ وَحَدَّثَ بِخُلَاصَةِ الرُّؤْيَا. قَالَ دَانِيَالُ:

(1) J. Daneil Hays, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009), "Four Beasts of Daniel".

«شَاهَدْتُ فِي رُؤْيَايَ لَيْلًا، وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِيَّاحِ السَّمَاءِ قَدْ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ صَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ يَخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. فَكَانَ الْأَوَّلُ كَالْأَسَدِ بِجَنَاحَيْنِ كَجَنَاحِي النَّسْرِ. وَبَقِيَتْ أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتُلَعَ جَنَاحَاهُ، وَانْتَصَبَ عَلَى الْأَرْضِ وَاقِفًا عَلَى رِجْلَيْنِ كَانِئْسَانِ، وَأُعْطِيَ عَقْلَ إِنْسَانٍ. وَرَأَيْتُ حَيَوَانًا آخَرَ شَبِيهًا بِالذَّبِّ، قَائِمًا عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ، وَفِي فَمِهِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ثَلَاثُ أَضْلُعٍ وَقِيلَ لَهُ: «انْهَضْ وَكُلْ لَحْمًا كَثِيرًا»، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ هَذَا حَيَوَانًا آخَرَ مِثْلَ النَّمِرِ، لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ، وَفُوضَتْ إِلَيْهِ سُلْطَاتٌ. وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤْيَايَ اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقِيَ بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشْرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونَ إِذَا بِقُرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتُلِعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقُرْنِ عَيُونٌ كَعَيُونِ الْإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَنْظُرُ، نُصِبَتْ عُرُوشٌ وَاعْتُلِيَ الْأَزْلِيُّ كُرْسِيُّهُ وَكَانَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالثَلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيَابًا مُتَوَهِّجًا وَعَجَلَاتُهُ نَارًا مُتَقَدَّةً. وَمِنْ أَمَامِهِ يَتَدَفَّقُ وَيَجْرِي نَهْرٌ مِنْ نَارٍ، وَتَخْدُمُهُ أُلُوفُ أُلُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَيَمَثُلُ

فِي حَضْرَتِهِ عَشْرَاتُ الْأَلُوفِ. فَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ. وَبَقِيَتْ أَرَاقِبُ الْقَرْنِ مِنْ جَرَاءِ مَا تَقَوَّهَ بِهِ مِنْ عَظَائِمَ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَتَلَفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوداً لِلنَّارِ. أَمَّا سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ فَقَدْ جُرِّدَتْ مِنْ سُلْطَانِهَا، وَلَكِنَّهَا وَهَبَتْ الْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِمَنْ مَأ.

وَشَاهَدْتُ أَيْضاً فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا بِمِثْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ مُقْبِلاً عَلَى سَحَابٍ حَتَّى بَلَغَ الْأَزْلَى فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ. فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ وَمَلَكُوتٍ لِيَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ لَا يَفْنَى، وَمُلْكُهُ لَا يَنْقَرِضُ.

أَمَّا أَنَا دَانِيَالُ فَقَدْ رَأَى الْحُزْنَ عَلَى رُوحِي فِي دَاخِلِي وَرَوَّعْتَنِي رُؤْيَ رَأْسِي. فَاقْتَرَبْتُ مِنْ أَحَدِ الْوَاقِفِينَ أَسْتَفْسِرُ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، فَأَطْلَعَنِي عَلَى مَعْنَى الرُّؤْيَا قَائِلاً:

«هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْأَرْبَعَةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَظْهَرُونَ عَلَى الْأَرْضِ. غَيْرَ أَنَّ قَدِيسِي الْعَلِيِّ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْمَمْلَكَةِ وَيَتِمَلَّكُونَهَا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. حِينَئِذٍ أَرَدْتُ أَنْ أَطْلِعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ الَّذِي كَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، إِذْ كَانَ هَائِلاً جِداً ذَا أَسْنَانٍ مِنْ حَدِيدٍ وَمُخَالِبٍ مِنْ نُحَاسٍ، وَقَدْ افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْهِ. وَعَنْ

الْقُرُونِ الْعَشْرَةِ النَّامِيَةِ فِي رَأْسِهِ، وَعَنِ الْقُرْنِ الْآخِرِ الصَّغِيرِ الَّذِي نَبَتْ،
فَاقْتُلِعَتْ أَمَامَهُ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ. هَذَا الْقُرْنُ ذُو الْعُيُونِ النَّاطِقُ بِالْعَظَائِمِ
وَمَنْظَرُهُ أَشَدُّ هَوْلًا مِنْ رِفَاقِهِ. وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْقُرْنَ يُحَارِبُ الْقِدِّيْسِينَ
وَيَغْلِبُهُمْ. إِلَى أَنْ جَاءَ الْأَزَلِيُّ وَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الَّذِي فِيهِ تَبَرَّأْتُ
سَاحَةِ قِدِّيْسِي الْعَلِيِّ، وَأَزِفَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ امْتَلَكُوا الْمَمْلَكَةَ. فَأَجَابَ:
إِنَّ الْحَيَوَانَ الرَّابِعَ هُوَ رَمَزٌ لِلْمَمْلَكَةِ الرَّابِعَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ تَخْتَلِفُ
عَنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ لِأَنَّهَا تَسْتَوِلِي عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَتُخْضِعُهَا وَتَسَحِّقُهَا.
أَمَّا الْقُرُونُ الْعَشْرَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فَهِيَ عَشْرَةُ مُلُوكٍ يَتَوَلَّوْنَهَا، ثُمَّ يَقُومُ
بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرٌ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخْضِعُ ثَلَاثَةَ مُلُوكٍ،
وَيُعَيِّرُ الْعَلِيَّ وَيُنْكِلُ بِقِدِّيْسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُعَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ،
فَيُذِلُّ الْقِدِّيْسِينَ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ [فِي الْأَصْلِ الْأَرَامِي: "إِلَى
زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ"]. وَلَكِنْ يَنْعَقِدُ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ، فَيَجْرَدُ مِنْ
سُلْطَانِهِ فَيُدْمَرُ وَيَفْنَى إِلَى الْمُنْتَهَى.

وَتُوْهَبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظْمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ
السَّمَاءِ إِلَى شَعْبِ قِدِّيْسِي الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتًا أَبَدِيًّا،
وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السُّلَاطِينِ وَيُطِيعُونَهُ. إِلَى هُنَا خِتَامُ الرُّؤْيَا. أَمَّا أَنَا دَانِيَالُ فَقَدْ
رَوَّعْتَنِي أَفْكَارِي كَثِيرًا وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتِي، وَلَكِنِّي كَتَمْتُ الْأَمْرَ فِي قَلْبِي.

يقول القديس «هيبوليتوس الرومي» شارحاً هذه الرؤيا:

يشير دانيال بذكره الحيوان الأول، أعني الأسد الذي خرج من البحر، إلى مملكة البابليين التي كانت قائمة حينذاك؛ وهو نفسه "رأس الذهب" في التمثال. وبالحدث عن "جَنَاحَيْنِ كَجَنَاحَيْ النَّسْرِ" يبين أن الملك «نبوخذنصر» تعالى وتكبر على الرب. ثم يقول بأن "جَنَاحَيْهِ اقْتُلِعَا"، ويعني بهذا أن مجده قُوض، لأنه أُخرج من مملكته ... وبعد الأسد، يرى النبي حيواناً آخر كالدب، وهو يرمز إلى الفرس ... والثالث كان النمر، ويُقصد به اليونان. لأنه بعد الفرس استولى الملك الإسكندر المقدوني على الحكم لما انتصر على داريوس؛ وهذا يمثلُه النحاس في التمثال. وفي حديثه عن "أَرْبَعَةَ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ هَذَا الْحَيَوَانُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ" يَبْنِ بجلاء كيف انقسمت مملكة الإسكندر إلى أربعة أقسام ... ثم يحدثنا عن "حَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَسْنَانٍ صَحْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَمَحَالِبٍ مِنْ نَحَاسٍ". وَمَنْ هو المراد بهذا الوصف إن لم تكن مملكة الروم، وهي المراد كذلك بالحديد الذي به تَسْحَقُ عروش الإمبراطوريات التي قبلها، وتسيطر به على

الأرض؟ فماذا بقي علينا تفسيره مما رآته الرؤيا إلا "أَصَابِعَ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَرْفٍ قَدْ اخْتَلَطَا"؟ فبالأصابع العشرة في التمثال عني مجازاً الملوك العشرة الذين خرجوا منها [مملكة الروم]، كما فسرهما دانيال أيضاً.^(١)

ويلحق مؤلفو «اللاهوت الكتابي للعهد القديم» على الرؤيا بقولهم: "من الواضح أنها [يعني الحيوانات] تمثل أربع ممالك متتابعة وملوكها على التوالي. والرأي التقليدي المحافظ هو أن هذه الممالك هي: بابل، والمملكة الميديّة/ الفارسيّة، واليونان، وروما."^(٢)

فالرأي الذي كان سائداً في القرون الأولى ولا يزال يعدُّ الرأي المحافظ في أوساط اليهود والنصارى؛ هو تفسير الحيوانات الأربعة بممالك بابل وفارس واليونان والروم على التوالي. وهي الممالك ذاتها التي وردت في الإصحاح الثاني من سفر دانيال.

(1) Alexander Roberts, et al. The Ante-Nicene Fathers, vol. V, p. 245.

(2) Roy B. Zuck, et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991), p. 393.

الجدير بالذكر أن الرؤيا تتحدث عن ممالك أربع كلها استولت على الأرض المقدسة. فمملكة بابل قامت في عهد «نبوبلاسر» عام ٦٢٦ ق.م، الذي كان أول ملوكها. ثم خلفه «نبوخذنصر» الذي كان في زمانه دخول فلسطين واستباحة المقدسات وإحراق الهيكل فيما يعرف بالسبي البابلي. ثم توالى ملوك بابل إلى عهد آخرهم «نبونيد».

في عام ٥٣٩ ق.م غزا «قورش» بابل واستطاع أن يخضعها بعد أن استسلم «نبونيد». وبهذا انتهت مملكة البابليين الكلدانية وقامت مملكة الفرس الأخمينية. وكان من أرجى أعمال «قورش» لدى اليهود أن أعادهم إلى الأرض المقدسة، وأذن لهم ببناء الهيكل الثاني. وتوالى ملوك الإمبراطورية الفارسية إلى زمن داريوس الثالث.

في عام ٣٣٢ ق.م استولى «الإسكندر المقدوني» على بيت المقدس، وفي عام ٣٣١ ق.م دمر عاصمة الدولة الأخمينية بعد معارك عدة ضد الفرس، وتعقب داريوس الثالث الذي قتل قبل أن يدركه على يد «بيسوس» الفارسي؛ وهكذا قامت مملكة اليونان. لكنها بعد موت «الإسكندر» انقسمت بين قادته إلى أربعة أقسام: حكم «كاسندر» في مقدونيا، و«ليسيماخوس» في تراقيا، و«سلوقس» في بلاد الرافدين وفارس، و«بطليموس الأول» في بلاد الشام ومصر. ومن

الأخيرين ظهرت سلالتا السلوقيين والبطالمة. وكان من أشهر أباطرة السلوقيين الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» الذي استباح بيت المقدس عام ١٦٧ ق.م كما فصلنا. وقد جعل القديس «هيوليتس» هذا الانقسام تفسيراً لما ورد في الرؤيا من "أَرْبَعَةٌ أَجْنَحَةٌ كَأَجْنَحَةِ الطَّائِرِ... وَأَرْبَعَةٌ رُؤُوسٍ". وفي السنة ٦٣ ق.م سقطت مملكة السلوقيين اليونانية بعد أن هُزمت من قبل الروم، واستولى الإمبراطور الرومي «بومبي» على بيت المقدس.

هنا أود الحديث عن الحيوان الرابع «مملكة الروم» بشيء من التفصيل. تقول الرؤيا: "وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَسْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ يَحْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشْرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونِ إِذَا بَقَرْنِ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَاقْتَلَعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الْإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمَ... وَبَقِيَتْ أَرَاقِبُ الْقَرْنِ مِنْ جَرَاءِ مَا تَقَوَّهَ بِهِ مِنْ عَظَائِمَ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَتَلَفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُودًا لِلنَّارِ."

حاول بعض الشراح أن يجعل من مملكة اليونان المملكة الرابعة، وفي سبيل ذلك قَسَمَ مملكة الأخمينيين إلى مملكتين: الميديّة والفارسيّة. وهذا من التكلف؛ فإن المملكة الميديّة انضوت تحت المملكة الفارسيّة منذ عهد «قورش» فلا يمكن أن تكونا حيوانين مختلفين، إذ إن الرؤيا تجعل الممالك الأربع حيوانات متباينة تماماً. ولهذا لما تحدثت عن انقسام مملكة اليونان لم تجعلها حيوانات وإنما جعلتها أجنحة ورؤوساً للحيوان نفسه.

إن المملكة الرابعة هي مملكة الروم كما هو رأي علماء أهل الكتاب في القديم، لكنه لما ظهر الروم على فلسطين وخربوا المسجد الأقصى بعد زمن المسيح عليه السلام أسقط في أيديهم، فالمملكة الأبدية ظهرت - على حد زعمهم - برسالة المسيح عليه السلام ولكن أعقبها اضطهاد عظيم للنصارى. لذا ذهب البعض إلى أن المملكة الرابعة هي مملكة اليونان والقرن الصغير هو «أنطيوخس الرابع»، في محاولة لجعل المملكة الرابعة سابقة للمملكة الأبدية التي جاء بها المسيح عليه السلام. وسلّم آخرون بأن المملكة الرابعة هي الروم، لكن جعلوا المملكة الأبدية عند نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان.

من سمات المملكة الرابعة أن يخرج منها عشرة قرون أو ملوك كما فسر ها دانيال. وليس المراد عدد الملوك كلهم، فإن ملوك السلالة السلوقية اليونانية وحدها أكثر من هذا العدد. لكن الرؤيا تتحدث عن ممالك سيطرت على الأرض المقدسة، فناسب أن يكون الملوك ممن ارتبط تاريخهم بالأرض المقدسة. ونحن عندما نقرأ تاريخ الإمبراطورية الرومية نجد أن عشرة من ملوكها عُرفوا باضطهاد النصارى حتى توطأ مؤرخو النصارى على تسمية حقبتهم بـ «الاضطهادات العشرة». يعدد هذه الاضطهادات القمص أناسيوس فهمي جورج في كتابه «الاستشهاد في فكر الآباء» تحت فصل بعنوان «الاضطهادات العشرة التي عبرت على الكنيسة في العصر الروماني»، فيقول:

١. الاضطهاد الأول تحت حكم الإمبراطور نيرون سنة ٦٤ م.
٢. الاضطهاد الثاني تحت حكم الإمبراطور دوميتيان سنة ٨١ م.
٣. الاضطهاد الثالث الذي بدأ في عصر تراجان سنة ١٠٦ م.
٤. الاضطهاد الرابع تحت حكم مرقس أوريليوس أنطونيوس عان ١٦٦ م.

٥. الاضطهاد الخامس الذي بدأ مع ساويرس عام ١٩٣ م.
 ٦. الاضطهاد السادس في عهد مكسيميانوس التراقي سنة ٢٣٥ م.
 ٧. الاضطهاد السابع في عهد ديسيوس سنة ٢٥٠ م.
 ٨. الاضطهاد الثامن على يد فاليريان الطاغية سنة ٢٥٧ م.
 ٩. الاضطهاد التاسع في عهد أوريليان سنة ٢٧٤ م.
 ١٠. الاضطهاد العاشر في عهد دقلديانوس سنة ٢٨٤ م.^(١)
- يضيف دانيال بعد حديثه عن الملوك العشرة قائلاً: "وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونِ إِذَا بَقَرْنِ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتْ بَيْنَهَا، وَاقْتُلِعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ".
- هذا القرن هو «قسطنطين الكبير» كما أشار إلى ذلك القس الكاثوليكي الأسبق «ديفيد بنجامين كلداني» في كتابه «محمد ﷺ كما

(١) انظر النسخة الإلكترونية للكتاب على هذا الرابط:

<http://www.ixoyc.net/data/Books/36.htm>.

ورد في كتاب اليهود والنصارى^(١). فهذا الملك ظهر في زمن الملوك العشرة قبل هلاك دقلديانوس، فكأنه نبت بينها. وأما الأباطرة الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة فهم: منافسه الرئيس «مكستتيوس»، و«مكسيمينوس دايا»، وأخيراً «ليسينيوس».

فبعد هلاك «قسطنطيوس» الأب الذي كان كبير الأباطرة في الغرب (أو «أغسطس»^(٢) الغرب) عام ٣٠٦م، أصبح ما كان تحته من بريطانيا وبلاد الغال وجنودها تبعاً للابن «قسطنطين»، مما اضطر «جاليريوس» - أغسطس الشرق - إلى منحه لقب «القيصر» مخافة الدخول في حرب أهلية، لكنه شغل بالتمرد الذي قام به «مكستتيوس بن مكسيميان» إذ لم يعين «قيصراً» لما نُفي أبوه.^(٣)

(١) عبد الأحد داود. محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ)، ص ٧٢.

(٢) أغسطس: لقب روماني يطلق على أباطرة الروم ويعني "العظيم" أو "الجليل" أو "المهيّب". لكنه في ظل المملكة المنقسمة التي عاش «قسطنطين» في أثنائها أصبح يطلق على كبير الأباطرة في الشرق وكبير الأباطرة في الغرب. وماسواهما من الأباطرة يسمى «قيصراً».

(3) Jonathan Bardill. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011), p. 83.

استطاع المتمرد «مكستتيوس» بدعم من الحرس الجمهوري أن يستحوذ على إيطاليا وشمال إفريقيا وأعلن نفسه «أغسطس» الغرب. وبرغم كرهه لقسطنطين تحالف معه ضد «جالريوس»، واستطاع أن يقتل قيصر الغرب «ساويرس». لكن «جالريوس» نصب «ليسينيوس» مكان «ساويرس» ومنحه لقب «أغسطس» الشرق.

في عام ٣٠٧م تزوج قسطنطين من ابنة «مكسيميان» الذي كان قد عُزل مكرهاً عن منصب «أغسطس» الغرب، فأصبح قسطنطين يحكم بوصفه «أغسطس» بناء على الحق الذي منحه إياه «مكسيميان». لكنه فقد هذا الحق عام ٣١٠م لما تمرد عليه «مكسيميان»، فقام قسطنطين ضده وانتهى الأمر بانتحار «مكسيميان» كما يذكر المؤرخون.^(١) لكنه استعاض عن فقدان ذلك الحق بأن زعم أنه من نسل الإمبراطور الرومي «كلوديوس الثاني».

لما هلك «جالريوس» أصبح الجزء الغربي من الإمبراطورية تابعاً لـ «ليسينيوس» و«مكسيمينوس دايا». هنا عقد قسطنطين حلفاً مع «ليسينيوس» للقضاء على أغسطس الغرب «مكستتيوس» وكذا

(1) Josef Lössl. The Early Church: History and Memory (Continuum International Publishing Group, 2010), p. 208.

المنافس الشرقي «مكسيمينوس دايا». ولتوثيق الآصرة زوج أخته «ليسينيوس». واستمر هذا الحلف إلى عام ٣١٦ م.^(١)

تمكّن قسطنطين من هزيمة وقتل أغسطس الغرب «مكستوس» في معركة «جسر ميلفيو» الشهيرة عام ٣١٢ م. أما «ليسينيوس» فاتجه شرقاً وأخضع المنافس «مكسيمينوس دايا». وهكذا لم يتبق من منافسي قسطنطين إلا «ليسينيوس».

بحلول عام ٣١٦ م كان الخلاف قد دبّ بين قسطنطين وليسينيوس، وقامت بينهما حربان استغلّ فيهما قسطنطين اضطهاد «ليسينيوس» للنصارى لتحريض الإمبراطورية ضده. كانت الحرب الأخيرة منهما عام ٣٢٤ م، وانتهت بعزل «ليسينيوس» ومصادرة أملاكه، بعد وساطة من زوجته. لكن قسطنطين لم يطمئن له فقتله عام ٣٢٥ م. وهكذا أصبح القرن الصغير إمبراطوراً بعد أن قلع ثلاثة قرون أمامه هي: «مكستوس» و«مكسيمينوس دايا» و«ليسينيوس».^(٢) وهذا ما عبر عنه النبي دانيال بقوله: "ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرٌ يَخْتَلِفُ

(1) Timothy D. Barnes. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981), p. 62.

(٢) المرجع السابق.

عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخَضِّعُ ثَلَاثَةَ مُلُوكٍ."

قال دانيال بعد ذلك: "وَيُعَيِّرُ الْعَلِيِّ وَيُنْكَلُّ بِقُدَيْسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ، فَيَذُلُّ الْقُدَيْسِينَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ."

وفي ترجمة «فان دايك» العربية: "وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُؤْلِي قُدَيْسِي الْعَلِيِّ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُغَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالسَّنَةَ، وَيُسَلِّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ."

أما الترجمة الحرفية للأصل الآرامي فكما يلي: "وبكلام ضد العلي يتكلم، ولقديسي العلي يُؤلي، ويسعى لتغيير الأزمنة والشرعية، ويوهبون بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن." وهي قريبة من الترجمة أعلاه، إلا أنها أدق، وهذا يساهم في تفسير النص كما ينبغي. فقوله "ويظن أنه يغير" في ترجمة «فان دايك» صحيحة، لكن ترجمة «كتاب الحياة» أنسب للسياق وتشهد لها معاجم الآرامية. وأما "زمان وأزمنة ونصف زمان" فإنها غير محددة بالسنوات بل هي كما أثبتناه.

تنص الفقرة على أن من صفات الملك الأخير «قسطنطين» ما

يلي:

١. يتكلم في الله ﷻ بعضائهم.
 ٢. يُبلي ("بلي" بالآرامية) قديسي العلي، أي أن الدين يضمحل تدريجياً في عهده.
 ٣. يسعى لتغيير الأزمنة والشرعية.
 ٤. يظل القديسون تحت حكمه "زماناً وأزمنة ونصف زمان".
- فهل كان قسطنطين كما وصف؟ ألم يعتنق النصرانية ويتنصر لها ويقيم المجامع الكنسية؟ لمعرفة الحقيقة أنقل من كتاب «الدم المقدس، الكأس المقدسة»:
- تحول قسطنطين إلى النصرانية لا يبدو نصرانياً على الإطلاق، بل كان وثنياً بلا استحياء... فحسب شاهد العيان الذي كان مرافقاً لجيش قسطنطين حينها، كانت الرؤيا التي رآها لإله الشمس «سول إنفيكتوس» (الشمس التي لا تقهر)... قسطنطين لم يجعل النصرانية الدين الرسمي لروما. بل كان الدين الرسمي لروما في ظل قسطنطين عبادة الشمس الوثنية؛ وعمل قسطنطين طوال حياته باعتباره كاهناً رئيساً لها. لقد سُمي عهده "إمبراطورية الشمس"... إنه لم يُعمّد حتى عام

٣٣٧م بعد أن صار طريقاً على فراش الموت، غير مكترث أو عاجزاً عن المقاومة ... كانت نحلة «الشمس التي لا تقهر» في جوهرها اتحادية فمهدت الطريق لاتحادية النصرانية. كما أنها كانت متساهلة في جوانب أخرى، فأدى هذان العاملان إلى تعديل النصرانية، وتسهيل انتشارها. فمثلاً صدر عام ٣٢١م مرسوم يقضي بأن قسطنطين يأمر بإغلاق المحاكم القانونية في "يوم الشمس المبجل" وأن يكون يوم عطلة. بعد أن كان النصارى يعدون سبت اليهود مقدساً ... وفي عام ٣٢٥م دعا إلى عقد مجمع «نيقية» وفيه تم إقرار تاريخ عيد الفصح، وصيغت قوانين لتبرز سلطة الأساقفة ... والأهم من هذا كله أن مجمع نيقية قرر بالتصويت أن عيسى إله وليس بشراً نبياً.^(١)

لقد استوفى قسطنطين ثلاثة من الأوصاف المذكورة في النص. فأما كلامه في الله بعظائم فرغمه أن الشمس إله الكون، وكذا نُصرت له لأهل الشرك في مجمع نيقية الذي أُقرت فيه عقيدة النصارى الزاعمة أن

(1) Michael Baigent, et al. Holy Blood, Holy Grail (Dell Publishing, 1983), p. 365-368.

عيسى هو الله أو ابن الله. ويكفي في بيان عظم ما افتروا قول الله ﷻ:
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ
الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾
[المائدة: ٧٢]. وقوله فيمن نسب إليه الولد: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ
الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ
أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ
عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وأما كون القديسين يبلون في زمنه فهو من جراء صهره
عقائد الوثنية الرومية وعقائد النصرانية في قالب واحد هو الكنيسة
الكاثوليكية الرومية التي صارت تضطهد كل من خالفها وإن كان
نصرانياً، وبهذا درست معالم دين المسيح ﷺ وقل أتباعه، حتى لم يبق
إلا قلة قليلة جداً يوم بعث النبي محمد ﷺ.

وأما تغييره للأزمان فإنه أصدر مرسوماً يقضي بجعل يوم الأحد ("Sun-day" يوم الشمس) يوم عطلة بدل يوم السبت تمجيذاً لمعبوده الشمسي. جاء في هذا المرسوم: "في يوم الشمس المبجل، على القضاة والشعب الذين يقطنون المدن أن يتخذوا عطلة، وأن تغلق كل المحلات." ^(١) كما حدد في زمانه عيد الفصح الوثني.

بقي قوله "ويوهبون [أو "يسلمون"] بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن". فهو يشير إلى المدة التي يحكم فيها هذا الملك قديسي العلي. وقد اختلف في حسابها على أقوال كثيرة؛ فالقديس «أوغسطين» في كتابه «مدينة الرب» يجعلها "عاماً وعامين ونصف عام، أي ثلاثة أعوام ونصف." ^(٢) وذهب غيره إلى أنها المذكورة في (دانيال ١٢: ٧). وقيل غير ذلك؛ وكله لا يقوم به دليل.

لكن الراجح عندي - والله أعلم بالصواب - أن المراد "مائة ومائتان ونصف المائة"؛ إذ الغالب على استعمال ألفاظ "يوم" و"ساعة" ونحوهما التعبير عن "مائة عام" كما سبق بيانه في غير هذه البشارة، وإنها

(1) Charles B. Arand, et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011), p. 42.

(2) St. Augustine. The City of God (T. & T. Clark, 1871), vol. II, p. 394.

رَجَّحْتُ هَذَا التَّفْسِيرَ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

أولاً: أن صفات المملكة الرابعة لا تنطبق على غير الروم، والقرن الصغير لا ينطبق على غير «قسطنطين» كما بينّا، فمن زعم أن المراد مملكة اليونان وإمبراطورها «أنطونيوس الرابع» فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع.

ثانياً: إذا اعتبرنا الزمان في الرؤيا «سنة» واحدة كما زعم «أوغسطين»، أي "عاماً وعامين ونصف عام"، كان ذلك أقل بكثير من مدة حكم «أنطيوخس الرابع» (١٧٥-١٦٤ ق.م) أو «قسطنطين» (٣٠٦-٣٣٧م)، فضلاً عن أن يكون نهاية للمملكة اليونانية أو المملكة الرومية.

ولو اعتبرنا الزمان «عقداً» فأولناها "عقداً وعقدين ونصف عقد"، لم يتفق ذلك مع مدة حكم «أنطيوخس»، وكان أقل بقليل من مدة حكم «قسطنطين». لكن قسطنطين لم تنته به مملكة الروم ولم تقم بعده المملكة الأبدية، فلا يمكن أن يكون الحساب بالعقود.

ولو عددنا الزمان الوارد في الرؤيا «قرناً»، لزم أن تكون المدة "قرناً وقرنين ونصف قرن" - أي ثلاثة قرون ونصف القرن، وهي

٣٥٠ عاماً تقريباً - بين قيام قسطنطين وبين ظهور مملكة القديسين في بيت المقدس الذين قال عنهم دانيال "وَتُوهِبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعِظَمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبٍ قَدِيسٍ الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ وَيُطِيعُونَهُ."

وهذا الأخير هو الصواب، والله أعلم؛ فإنه برغم ما تعرضت له مملكة الروم من الغزو والتخريب من قبل قبائل «القوط الغربيين» وقبائل «الوندال» في القرن الخامس الميلادي إلا أن سيطرتها على الأرض المقدسة لم تنقطع، بل أصبح القدس تابعاً للإمبراطورية الشرقية التي تعرف باسم «الإمبراطورية البيزنطية». واستمر حكم الروم للقدس إلى منتصف القرن السابع باستثناء مدة يسيرة سقطت خلالها بيد الفرس الساسانيين ثم استعيدت من قبل الروم. فمتى إذن ظهرت المملكة الأبدية؟

لمعرفة ذلك علينا أن نتذكر أن قسطنطين جلس على عرش روما عام ٣٠٦م، وأتينا لو أضفنا إلى هذا التاريخ ثلاثة قرون ونصف القرن فإننا سنجد أنفسنا في منتصف القرن السابع الميلادي. فماذا كان من شأن الأرض المقدسة في منتصف القرن السابع الميلادي؟

جاء في صحيح البخاري: "وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ [القدس] وَهَرَقْلُ سُقْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هَرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِبِلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ! قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هَرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يُحْتَسِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا لَيْسَ يُحْتَسِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهَمَّتْكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هَرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ عَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هَرَقْلُ قَالَ: أَذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمْحَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا؟ فَانْظُرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُحْتَسِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يُحْتَسِنُونَ. فَقَالَ هَرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هَرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بُرُومِيَّةَ وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هَرَقْلُ إِلَى حِمَصَ فَلَمْ يَرَمْ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هَرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هَرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يُثَبَّتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ. فَلَمَّا رَأَى هَرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ

وَأَيَسَ مِنَ الْإِيْمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ! وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا أَخْتَبِرُ
بَهَا شِدَّتْكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ
آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ. ^(١)

وقال ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بإيلياء وعظ
النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة
حتى وصلت إلى محراب داود؛ قال لهم: "إنكم لخليق أن
تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو
إسرائيل على دم يحيى بن زكريا". ثم أمروا بإزالتها، فشرعوا
في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن
الخطاب. ^(٢)

إن من أعظم أحداث التاريخ في منتصف القرن السابع الميلادي
فتح بيت القدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إكراماً من الله لهذه
الأمّة العظيمة التي وعد بها في أسفار أهل الكتاب على السنة الأنبياء
عليهم السلام. قال ابن كثير في تاريخه:

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧.

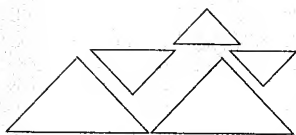
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: المكتبة العصرية)، المجلد الثاني، ٥ / ٢٨١.

"إن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا [بيت القدس] يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ... فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ... ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه وفي الثانية بسورة بني إسرائيل. ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأخبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العُمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف رداءه وقبائه ونقل المسلمون معه في ذلك ...".^(١)

(١) البداية والنهاية، المجلد الثاني، ٥ / ٢٨١.

أوليس هذا مصداق ما عبر عنه دانيال بقوله: "وَتُوْهَبُ الْمَمْلَكَةُ
وَالسُّلْطَانُ وَعَظْمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبٍ قَدِيسٍ
الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ
وَيُطِيعُونَهُ"؟ سؤال أدع الإجابة عنه للقارئ اللبيب الذي أشهده الله
ظهور مملكة القديسين بعد أن تهاوت الممالك الثلاث، فرأى صدق
البشارة رأي العين.

الخاتمة



ختاماً..

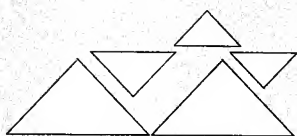
يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ؛ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ؛ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» [صحيح مسلم]

أيها القارئ المنصف، إن كنت ممن وفقه الله لاتباع نبيه ﷺ فالزم غرضه فقد جاء بالهدى ودين الحق، واحمد الله على نعمة الهداية فإنها لا تعدلها نعمة؛ وإن لم تكن من أتباعه فقد آن أن تنزع عنك لباس الهوى وأن تتجرد للحق؛ فإن الله لا تضره معصيتك، كما لا تنفعه

طاعتك، فهو الغني وأنت الفقير. أما لك في أنبيائك أسوة إذ بشروا
بنبي الإسلام ﷺ؟ فلم تنكبت صراطهم؟ أم أنك أوتيت من العلم ما
لم يؤتوا! ألا فأدرك ركاب المؤمنين قبل أن يترحلوا عنك، فإن السفر
طويل لا يقطعه إلا زاد التقوى. واعلم أن علائق الدنيا متصرمة إلا ما
ابتغى به وجه الله، فلا تكن ممن سعى في الدنيا فلم ينتفع بسعيه، فإن
ذلك من أعظم الحسرات يوم القيامة.

فاللهم لك الحمد أن هديتنا للإسلام، وأرسلت إلينا خير الأنام،
الذي تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. أشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

المراجع



المراجع العربية:

١. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ).
٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤ م).
٤. ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠ هـ).
٥. تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦ هـ).
٦. ابن هشام، السيرة النبوية.
٧. عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ).
٨. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ).
٩. أثناسيوس فهمي جورج، الاستشهاد في فكر الآباء، (www.ixoyc.net/data/Books/36.htm).

المراجع الأجنبية:

10. Albright, William F. From the Stone Age to Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957).
11. Arand, Charles B., et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011).
12. Augustine, St. The City of God (T. & T. Clark, 1871).
13. Aurelius, Marcus. The Apology of Tertullian, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894).
14. Baigent, Michael, et al. Holy Blood, Holy Grail (Dell Publishing, 1983).
15. Bardill, Jonathan. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011).

16. Barnes, Timothy D. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981).
17. Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987).
18. Beckwith, Roger. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).
19. Box, G. H. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918).
20. Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865).
21. Catholic Encyclopedia, <www.newadvent.org>.
22. Charles, R. H. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004).
23. _____ The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]).

24. _____ The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893).
25. Charlesworth, James H. The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998).
26. Chazon, Esther G., et al., Things Revealed, ed. (Leiden: Brill, 2004).
27. Cheyne, T. K. & J. Sutherland Black, ed. Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899).
28. Clayton, P. A. Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994).
29. Collins, John J. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997).
30. _____ Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).

31. Encyclopaedia Britannica.
32. Encyclopedia Judaica (Brill Academic Pub, 1999, CD-ROM Edition).
33. Freedman, David N. ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992).
34. Fritzsche, Otto Fridolin. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871).
35. Hall, Robert G. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988).
36. Hays, J. Daneil, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009).
37. Henry, Matthew. Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One

Volume. (Peabody : Hendrickson, 1996, c1991).

38. International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003).
39. James, M. R. The Biblical Antiquities of Philo (Forgotten Books, 2007).
40. Jerome, St., Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977).
41. Singer, Isidore, ed. Jewish Encyclopedia (New York & London: Funk & Wagnalls Company, 1906).
42. Josephus, Flavius. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006).
43. Kulik, Alexander. Retroverting Slavonic Pseudepigrapha (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004).
44. Laurence, Richrard. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838).
45. Lössl, Josef. The Early Church: History and Mem-

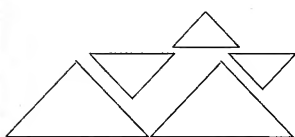
- ory (Continuum International Publishing Group, 2010).
46. Neugebauer, Otto. et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985).
 47. New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994).
 48. Newton, Thomas. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832).
 49. NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995).
 50. Roberts, Alexander. The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325 (Cosimo, Inc., 2007).
 51. Schaff, Philip. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series (Oak Harbor : Logos Research Systems, 1997).
 52. Vanhoozer, Kevin J., et al. Dictionary for Theologi-

cal Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005).

53. Zuck, Roy B., et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991).



الفهرس



الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٣	الفصل الأول: نبي آخر الزمان ﷺ
١٤	• مدخل
١٧	• رؤيا الأسابيع
١٧	- الكتابات المنحولة
١٨	- سفر أخنوخ ورؤيا الأسابيع
٢٩	- تفسير النص
٦٣	• رؤيا إبراهيم عليه السلام
٦٤	- نص الرؤيا وتفسيره
٩٩	• عهد موسى عليه السلام
١٠٠	- النص وتفسيره
١١١	الفصل الثاني: اسم النبي ﷺ في أسفار أهل الكتاب
١١٣	• «محمد» ﷺ في سفر «هوشع»
١٣١	الفصل الثالث: قبلته ﷺ مثابة للناس
١٣٣	• «بكة» في سفر المزامير

١٤٣	الفصل الرابع: أُمته ﷺ تَرثُ الأُمم
١٤٥	• التمثال والحجر
١٥٢	• رؤيا الحيوانات الأربعة
١٧٧	الخاتمة
١٨١	المراجع
١٩١	الفهرس

مطابع
أضواء المنتدى
ت. ٠١-٢٤٢٣٢٧٠ فاكس: ٠١-٢٤٢٣١٩١

هذا الكتاب:

«الدنيا مظلمة إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، ولم يُنعم الله على أهل الأرض نعمة أعظم من بعثة نبيِّنا ﷺ، وضرورة البشر وحاجتهم لهذه البعثة أعظم الضرورات والحاجات، وما كان الناس إليه أحوج فادلته أكثر وأظهر؛ ومن ذلك دلائل نبوة محمد ﷺ، فهي لا تكاد تحصى.

ويُعدّ كتاب «يُجدونه مكتوباً عندهم» إضافةً مهمةً في إيراد وإيضاح دلائل على النبوة المحمدية من خلال الكتب والأسفار القديمة؛ فهو دراسة عميقة، وقراءة فاحصة، وموازنات دقيقة، وجدير بأن يترجم لأشهر اللغات العالمية. ٦٦

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف



مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض ١١٤٩٦

www.albayan.co.uk

sales@albayan.co.uk

هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٥٤٦٨٦٨